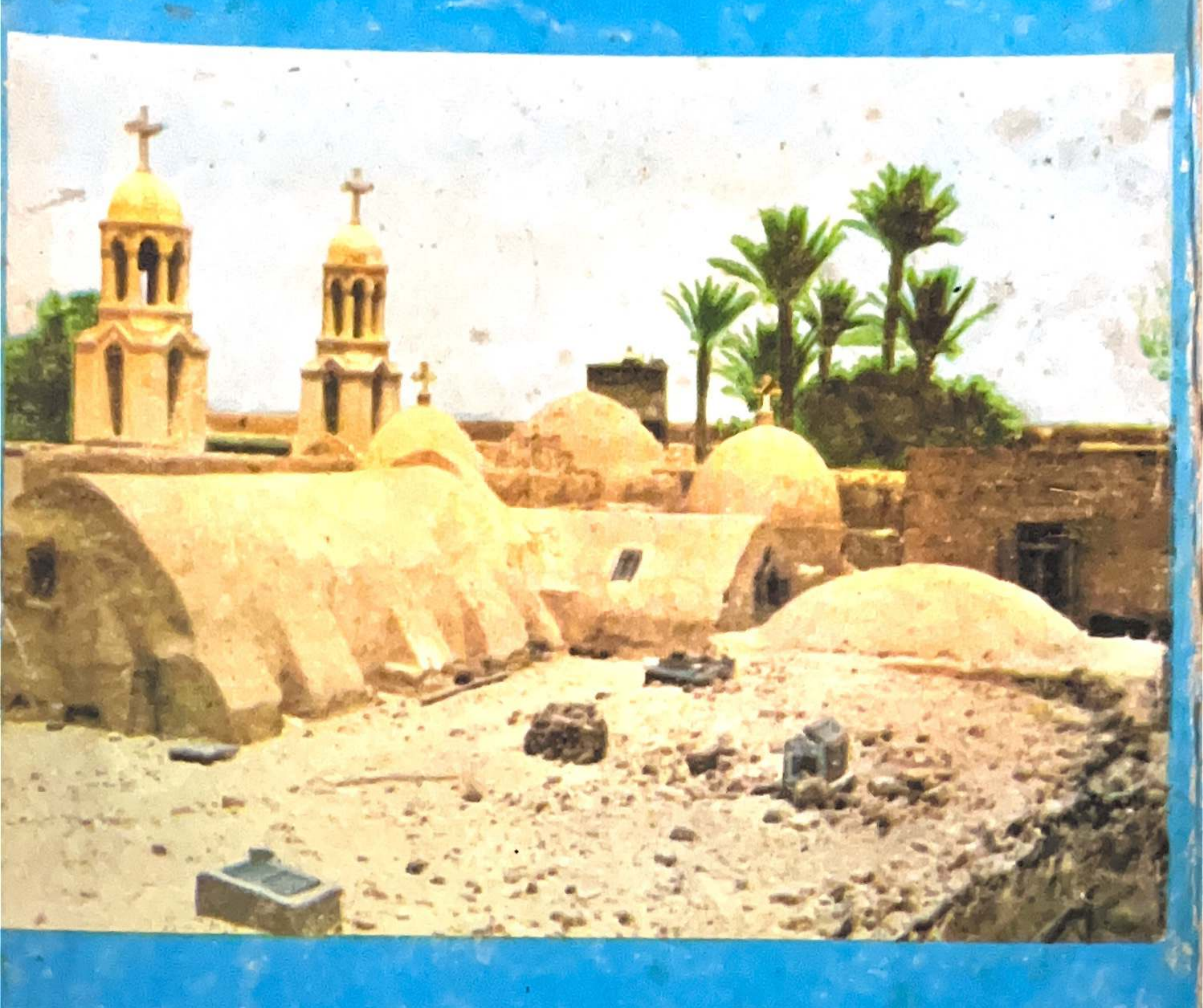
دليل الزائر
لدير



سيدة براموس العامر

دليل الزائر
لدير
سيدة براموس العامر

الطبعة الأولى

١٩٨٥

الناشر

أبناء الأنبا موسى الأسود



صاحب القداسة والغبطة البابا المعظم
الانبا شنودة الثالث
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

الكتاب : **دليل الزائر لدير سيدة براموس العامر**
الكاتب : ف.س. سعيد
الطبعة : الأولى يناير ١٩٨٥ م
الناشر : ابناء الأنبا موسى الأسود

رقم الايداع : ١٩٨٤/٧٤٣١
المطبعة : **دار الجيل للطباعة**



نيافة الأنبا أرسانيوس
اسقف المنيا وابو قرقاص
ورئيس دير السيدة العذراء (براموس) العامر

مقدمة

يسعدنا عزيزى القارىء ان نقدم اليك الطبعة الأولى من كتاب دليل الزائر .. لدير سيدة براموس العامر .

حيث نصطحبك فى رحلة الى وادى النطرون ، الذى يقوم الدير فى طرفه الشمالى الغربى .. مقتحمين بطن الزمن ، لنشتم معا الروائح الزكية العطرة ، لجهاد واتعاب، ودموع وعرق ، ودماء آباء البرية عبر قرون عديدة خلت. ولنتعرف معا ، خلال ارجائه المعمارية والأثرية ، على بصمات الدهر الغابر .. منتقلين من حقبة الى حقبة ، حتى نصل الى امتداد الدير فى عصره الحالى ..

وسنحاول الا نرهقك بالتفصيلات التاريخية لمجرى الأحداث الخاصة بظهور واكتمال الأديرة ، أو على وجه التحديد لتبلور الشكل العام للمجموعات الرهبانية التى نشأت فى وادى النطرون ، منذ أواسط القرن الرابع الميلادى، الى أن أخذت شكلها النهائى المتعارف عليه اليوم . انما سنقدم لك فى ايجاز غير مخل فكرة سريعة ، تكفى للالمام بالتطور التاريخى العام للحياة الديرية ، تاركين العرض التاريخى التفصيلى لمن يشاء الرجوع الى الكتب التاريخية المسهبة .

وقد حاولنا ايضا فى عرضنا العام ، على قدر طا
أن نفى باحتياجات جميع الزوار على اختلاف مشاربه
دون اطالة مملة ، وذلك بغية افادة الجميع وتعريفهم با
الأساسى من المعلومات الخاصة بالدير ، كل حسب اهتما

وفى هـذا الصدد ، لا ننسى أن نتقدم بالشكر لكل
تفضـل وعاوننا على اصدار هـذا الكتاب . وكذلك كل
ابدى رأيا بخصـوص ما جاء به من معلومات تخص المنا
القريب للدير . وكل من زودنا من الآباء بارشاده ونصائح
الرب يعوضهم على أتعابهم خيرا . مع التنويه الى ان ما جا
بالكتاب ، وان كان هو ثمرة لأنفاس الرهبان ، الا انه يظ
رأيا خاصا بالكاتب .

وسينقسم هذا البحث الى :

أولا ــ التطور التاريخى الرهبـانى فى وادى النطرون بصفة عامة ، ومنطقة براموس بصفة خاصة :

كيف تأسـست أول جماعة .. كيف ظهرت الأديرة الأربعة .. تطور شكلها المعمارى ..

ثانيا ــ التطور المعمـارى للأديرة مع وصف الوضع المعمارى الحالى للدير .

ثالثا ــ قديسـو الدير .

و ... نتركك الآن عزيزى القارىء ، لتستمتع بهذه الرحلة ، عبر صفحات هذا الكتاب آملين ان يكون ذا فائدة لك ولكثيرين .

ابناء الأنبا موسى الأسود

أولا ــ التطور التاريخى الرهبانى

انطونيوس والرهبنة :

نشأت الرهبنة ، كما نعلم ، بشكلها المتميز عما سبقها من اجتهادات بشرية فى النسك والتصوف ، على يد القديس انطونيوس الكبير فى أوائل القرن الرابع الميلادى . وهو لذلك يلقب بأب جميع الرهبان ، ليس فى مصر وحدهـا ، بل فى العالم بأسره ، لأنه يعتبر اول من مارس قواعد الحيـاة النسكية المسيحية ، وعمم الرهبنة كفكرة فلسفية عملية .

لذلك ما أن برز القديس انطونيوس فى سماء التصوف والنسـك المسيحى ، ولا سيما بعد عام ٣٠٥ م ، عندما ولدت اول جماعة رهبانيـة ، بالمعنى المصرى ، اى اب روحى يلتف حوله جماعة من المحبين والمريدين الراغبين فى هـذا النمط من الحياة ، تربطهم به علاقات البنوة الروحيـة ، ويعيشون حياة مشتركة . ما أن ولدت هذه النشأة الروحية ، حتى وفد اليه الأنصـار والمريدون من سـائر ارجاء بلاد العالم المعروف آنذاك . يتتلمذون على يديه ، ويقضون معه بعض الوقت ، ثم يعودون الى بلادهم حاملين معهم شعلة النسك المسيحى ، كما عاشوه ، وذاقوه ، الى كل بقعة رحلوا اليها .

مكاريوس والاسقيط :

وكان القديس مكاريوس الكبير المصرى ، احد التلاميذ الذين مالوا بكل قلوبهم الى الاقتداء بسيرته واقتفاء اثره . وبعد ان نال بركة انطونيوس ، واستلم « عصا الرهبنة » كما يقول التقليد ، انطلق مقاره الى البرية .. الى نتريا اولا ومنها الى البرية الجوانية . حيث وصل حوالى سنة ٣٤٠ م ، الى المنطقة المعروفة اليوم بوادى النطرون . وهناك القى عصا الترحال عند الطرف الشمالى للوادى ، بجوار منطقة البحيرات (البهلس والصخرة (البترا) المعروفة اليوم بـ « قارة الملوك » وهى على بعد نحو ٤ كم من دير براموس الحالى ، حيث حفر لنفسه اول بئر هناك ، وعاش بجوارها .

وسرعان ما تجمع حوله تلاميذ ومريدون صاروا الباكورة المقدسة للرهبانية فى شيهيت ، وتكاثر عددهم . فشيد لهم كنيسة يصلون فيها ، اشرف هو بنفسه على بنائها ، واقام عليها فيما بعد القس ايسيذورس . وصارت بذلك اول كنيسة تشيد فى وادى النطرون ، وهى فى المكان المعروف بدير سيدة براموس . وكانت تدعى آنذاك « كنيسة شيهيت » .

اول دير :

وبذلك تشكلت اول نواة للتجمعات الرهبانية المقارية

فى شيهيت ، والذى دعى ايضا باسم اسقيط مقاريوس ، او الاسقيط ، اى موضع نسك القديس مقارة . وكان هذا بمثابة اول (دير) فى الاسقيط . وعاش هناك زمانا طويلا .

وهكذا كانت منطقة براموس الحالية ، كما يرى الدارسون ، اول تجمع رسمى للرهبانية المقارية فى شيهيت ، حتى ان كلمة شيهيت عندما كانت تطلق فى البداية ، كان يقصد بها اساسا هذه البقعة بكنيستها وبئرها وصخرتها .

من شمال الوادى الى جنوبه :

ولكن ما لبثت الحياة الرهبانية المقارية ان ازدهرت وترعرعت ، وكثر عدد الرهبان جدا ، وازدحمت هذه البقعة بالمغارات والكهوف ، واكتظت بالمناشيب .. ومن ثم فكر القديس مقار فى النزوح الى الطرف الجنوبى من الوادى حيث اسس جماعته الرهبانية الثانية ، والتى شكلت فيما بعد دير انبا مقار الحالى . وكان من جراء ذلك ان امتد لقب شيهيت ليشمل الوادى بأسره من شماله الى جنوبه .

وما هو الا قليل .. حتى صار لبعض تلاميذه ، جماعات متميزة بهم . وما أن أوشك القرن الرابع الميلادى على اسدال ستائره حتى كانت الرهبنة المقارية فى وادى النطرون ، قد نمت واكتملت انظمتها وتركزت فى أربعة مجموعات رئيسية هى :

١ ــ الجماعة الرهبانية الأولى فى الوادى ، فى المو
المعروف حاليا بدير سيدة براموس .

٢ ــ الجماعة الرهبانية الثانية فى الوادى ، حول
موضع دير انبا مقار الحالى .

٣ ــ الجماعة الرهبانية الثالثة فى موضع دير يوحنا
القصير ، الخرب الآن . وهو جنوب غربى دير أنبا مقار .

٤ ــ الجماعة الرهبانية الرابعة فى موضع دير انبا
بيشوى الحالى .

علما بأن دير السريان الحالى ، لم يكن قد ظهر الى
الوجود ، فى رأى أفضل المتفائلين قبل القرن السابع الميلادى ،
وفى رأى البعض الأعم ، القرن التاسع .

شيهيت .. والرحالة :

وكانت الفترة ما بين منتصف القرن الرابع ، ومنتصف
القرن الخامس ، هى فترة العصر الذهبى للرهبانية المقارية
فى شيهيت حيث بلغت هذه الجماعات أوج ازدهارها ،
وزارها العديد من الرحالة الأجانب ، وآباء الكنيسة الغربية ،
لينهلوا من ينابيعها ويحملون معهم ما استطاعوا من تراثها
ويعودون الى بلادهم يؤلفون عنها المؤلفات الضخمة ،
وينشئوا على غرارها الأنظمة الرهبانية الغربية ، بعد تكييفها
على نحو أو آخر ، بما يلائم المناخ والمزاج الغربى .

ولعل من اشهر من زاروا المنطقة فى ذلك العصر
بالليديوس صاحب كتاب بستان الرهبان ، والقديس
باسيليوس اسقف قيصرية ، وصاحب القداس الذى يحمل
اسمه ، والقديس ايرنيموس ، والمؤرخ روفينوس ، والقديس
يوحنا كاسيان .. بل وايضا من النساء ، نسمع عمن غامرت
بركوب الأخطار وعبور البحار الازدراء باتعاب الطريق والسفر ،
من أجل مشاهدة مساكن النساك المصريين ، مثل القديسة
ميلانيا الأسبانية الجنس التى اتت الى نيتريا .. والقديسة
باولا الايطالية التى رافقت القديس ايرنيموس . فضلا عن
تلك الأميرة المشهورة فى قصة حياة القديس اوسانيوس .

وقد بلغ عدد هذه الجماعات الرهبانية فى برية شيهيت
وحدها آنذاك نحو خمسين (ديرا) ، يقطنها حوالى خمسة
آلاف راهب ، كما ذكر أحد المؤرخين . بل أن المقريزى يذكر
نقلا عن آخرين انها كانت نحو مائة دير . ومن كثرتها دعاها ــ
اى برية شيهيت ــ « بركة الأديرة » .

ومن مصر انتشرت أشعة الرهبنة المسيحية فى كل ارجاء
العالم المعروف آنذاك ، فوصلت الى العراق شرقا وأوربا
غربا ..

شيهيت .. والغارات :

ولكن ما لبثت أعداد هذه الجماعات أن بدأت فى
الانخفاض تحت مطارق الزم [illegible] نفراط حبل الأمن ، وبفعل

العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى شهدتها البلاد فى تلك العصور ، وتعرضت فيها البرية بالتالى لموجات منتظمة من الغارات البربرية الوحشية التى يندى لها جبين الانسانية . وكان أشهرها سبع غارات رئيسية كبيرة من البربر والبدو وعربان الصحارى الرحل .. لاقى فيها الرهبان كل مظاهر الألم والهوان ، بل التعذيب والقتل . وكان من جراء كل هذه النكبات والنوازل أن وصلت أعداد هذه الجماعات فى القرن العاشر وفقا لرأى البعض الى ٣٧ ديرا ، ثم الى عشرة اديرة . وفى القرن الرابع عشر ، وصلت الى سبعة أديرة ، كما روى المقريزى .

على أن عدد هذه الأديرة ، كان يتذبذب بشدة من الزيادة الطفيفة الى النقصان الشديد ، تبعا لتذبذب درجة الاستقرار السياسى والأمنى فى البلاد . حتى وصل العدد الى أربعة أديرة فقط فى الوادى اعتبارا من القرن الثامن عشر ، وهى الموجودة حاليا ، تحمل رائحة الماضى التليد ، وتراث الآباء المجيد ، وأنفاس حياة الآباء الروحية ، وتقف بمبانيها المختلفة شاهدة فى صمت على عوامل الزمن ، واستبداد بعض أفراد البشر ، وعلى أن الله لا يترك نفسه بلا شاهد فى اى عصر من العصور .

شيهيت .. والعالم :

وكان الرهبنة المصرية كانت تتوقع هذه العصور المظلمة العتيدة ان تعصف بالأديرة والنساك ، فاذا بها فى فترة عهدها الذهبى القصير الأمد ، لا يكتمل نموها وازدهارها السريع ، ونضجها فحسب بل تنجب حركات رهبانية عالمية ، تستمد من الرهبنة المصرية كل تراثها وكنوزها وتحفظها فى مؤلفات اجنبية ، تسلم من احداث هذه القوى الهمجية الوحشية العاتية ، وتعكس بجلاء مقدار القامة التى وصلت اليها الرهبنة المصرية فى أقل من قرن بعد ميلادها ، وتردد حتى الآن انفاس آباء البرية الأولين .

رهبنة جامعة :

ويسجل لنا التاريخ ان الرهبنة المقارية فى شيهيت كانت تضم أنواعا مختلفة من الطبقات والثقافات .. فقد عرفت الفلاحين والصناع بين نساكها ، كما عرفت التجار ، والأمراء والنبلاء . بل كانت تضم ايضا جنسيات عديدة من يونان واسبان وايطاليين ، ومن سوريا ومقدونيا واثيوبيا وارمينيا وغلاطية وآسيا . لهذا لا عجب أن وجدنا فى بعض الحقب اديرة للأرمن والأحباش والسريان ، وان كانت ما لبثت أن اختفت .

ثانيا – التطور المعمارى التاريخى للأديرة

كان ما سبق لمحة سريعة لنشأة ونمو الرهبنة المصرية المقارية . ولكن لكى يمكننا أن نفهم الحياة الديرية الآن ، فانه يتعين علينا أن نلم بفكرة سريعة أيضا عن شكل الدير فيما مضى ، وسبب ظهوره بوضعه الحالى .

ان كلمة (دير) تعنى فى القواميس العربية ، مسكن الرهبان . على أن الكلمة العربية فى صورتها المجردة لا تعطينا فى الواقع فهما دقيقا للتطور المعمارى لمساكن الجماعات الرهبانية عبر التاريخ ، مثلما يظهر هذا الوضوح فى الكلمات الأجنبية المستخدمة للتعبير عن الدير .

فلا شك ان ما يطلق عليه (دير) اليوم كبناء يحتوى على كنيسة وحصن وسور عال ، وقلالى للرهبان .. انما يختلف تماما عما كان عليه الوضع فى العصور الرهبانية الأولى . ولذلك نحتاج أن نلم بفكرة موجزة سريعة عن التطور المعمارى التاريخى .

الشكل الأولى للدير :

رأينا فيما سبق ، كيف بدأت الحياة الرهبانية الأولى، فى حياة الأنبا انطونيوس ، على شكل نساك يعيش كل منهم منفردا ، منعزلا فى مغارة وحده ، وعلى مسافات متباعدة ..

لكنهم يعيشون جميعا تحت اشراف أب روحى واحد . وكان هذا النظام ذاته هو الذى بدأت به الحياة الرهبانية المقارية فى شيهيت .

ففى البداية كان الرهبان يعيشون فى مغائر متفرقة ، منحوته فى الصخر او التلال ، أو تحت سطح الأرض ، او فى صوامع من القصب وجريد النخل واغصان الشجر . وتلتف مغاراتهم حول كنيسة تقوم فى وسط مساكنهم ليمارسوا فيها الصلوات الطقسية . والى جوارها بيت لايواء الزائرين لا يعدو أن يكون قلاية كبيرة . ومخزن لمؤونة الجماعة .

وكانت هذه الصورة فى الشكل العام الأولى ، لما اطلق عليه فيما بعد لفظة دير . وهى بالطبع تعكس حالة الاستقرار الأمنى فى ذلك الوقت . ولكن دوام الحال من المحال ، فلم تلبث هذه المنطقة الهادئة أن تعرضت لهجمات متعددة ، من البربر ، والبدو كان اشهرها ست غارات رئيسية كبيرة . وذلك اعتبارا من سنة ٤٠٧ م والتى راح ضحيتها الأنبا موسى الأسود ورفاقه الستة .

وعقب كل غارة ، كانت تحدث عملية تشتيت مؤقتة للنساك ، وبالطبع تدمير للمبانى . وبدأت تزداد عمليات السلب والنهب والتخريب والقتل التى تتعرض لها المنطقة . ومن ثم بدأت تظهر الحاجة الى الأمن المشترك ، فتقاربت القلالى من بعضها البعض فى بادىء الأمر من ناحية

ومن ناحية اخرى بدأ الرهبان يسكنون مع بعضهم بعضا ، فى مجموعات صغيرة . . مثنى أو ثلاثا وربما عشرة فى مغارة كبيرة نسبيا عرفت باسم (منشوبية) وذلك لكى يتعاونوا معا وقت الخطر . وبذلك ظهرت مايعرف بالفردية المترابطة . اى راهب يعيش حياة روحية خاصة فى قلايته ولكن يشترك فى عيشة مشتركة داخل منشوبية .

ظهور الحصون :

ولكن مع ضغط الظروف المتزايدة ، واشتداد المخاطر ، وانفراط حبل الأمن . . بدأ التفكير فى نوع آخر من الحماية لتوفير قدر اكبر من الأمن للرهبان العزل أمام الهجمات البربرية المتوحشة فظهرت فكرة الحصون المنيعة ، اعتبارا من القرن الخامس ، لا سيما بعد ان شيد الأمبراطور زينو حصنا منيعا فى دير أنبا مقار . ثم ما لبثت الفكرة أن امتدت الى سائر الجماعات الرهبانية فى وادى النطرون . ولكن هذه الحصون تعرضت لعوامل الزمن فتداعت وتم اعادة بنائها عبر العصور .

ظهور الأسوار :

وفى القرن التاسع حدثت غارة بربرية متوحشة من عربان الصحراء على دير انبا مقار ، حيث احاط المغيرون بالدير نحو خمسين سنة ، يفتكون بالرهبان ويجردونهم من كل شىء . . ومن ثم بدأ التفكير الجدى مرة اخرى فى احاطة

مبانى الجماعة بسور ضخم ، حتى يكون الرهبان فى مأمن من غاراتهم عندما يحاولون اعادة الكرة .

الشكل المعمارى الحالى :

وهكذا خلال القرن التاسع الميلادى بدأ شكل الدير معماريا يتخذ شكل الكنيسة التى بجوارها حصن شاهق منيع ، وحولها قلالى الرهبان ، ومخازن المؤون ، ويحيط بجميعها سور ضخم عال . وبالطبع لم يحدث هذا التغيير دفعة واحدة ، بل تدريجيا ، وعلى مر الأيام .

وفى هذه المرحلة كان ما زال هناك بالطبع عدد من الرهبان يعيشون على النمط الأنطونى ، أى التوحد فى مغارات منفردة خارج الأسوار . . ولكن تدريجيا بدأ هذا النمط ايضا يختفى . بل ان مدافن الرهبان ، كانت أيضا خارج الأسوار ، حتى القرن الرابع عشر ، كما يقول البعض ، ثم صارت بعد ذلك داخل الأسوار هى أيضا .

وواضح ان هذا التطور المعمارى كان نتاج عوامل الزمن الخارجية . وهكذا استقر الأمر فى القرون الوسطى معماريا على هذا الشكل . فكانت الأبواب المنقورة فى جدار السور ، المنخفضة والضيقة ، سمة أساسية للدير ، لدواعى الأمن والاحتياط . وكانت تظل مغلقة باستمرار لا تفتح الا نادرا ، وعند الباب من الخارج ، كان يوضع على اهبة الاستعداد ، حجران كبيران من الصوان — مثلما فى

دير براموس – لترسهما فى مدخل الباب ،القليل الارتفاع والضيق من الخارج ، وذلك عند استشعار خطر ما ، زيادة فى اعاقة المغيرين ، ريثما يتم اللجوء الى الحصن .

والعجيب انه حتى مع هذا الوضع ، ومع مرور زمن طويل على آخر تلك الغارات البربرية . فاننا نسمع عن غارة شاذة تمت فى القرن الثامن عشر . قام بها ، وللأسف الشديد ، احد المرشدين البدو ، عند حضوره الى دير سيدة براموس ، فى صحبة احد الرحالة الأجانب ، الأمر الذى اضطر معه الرهبان آنذاك الى اللجوء الى الحصن والاحتماء به ، الى أن سلب ما سلبه وترك الدير . ولا شك ان هذا الأمر ترك بصماته الغائرة على الرحالة فسجلها فى كتاباته ، ذاكرا اسم ذلك (المرشد) !!

عدد الأديرة حاليا :

وهكذا انتهى الأمر منذ القرن السابع عشر تقريبا بأربعة اديرة فقط فى وادى النطرون محاطة بأسوار عالية ، وذات أبواب مغلقة باستمرار .. هذه الأديرة الأربعة التى انسلت من ظلمات العصور البربرية هى :

١ – دير سيدة براموس فى الشمال الغربى للوادى.

٢ – دير انبا مقار فى الجنوب الشرقى من الوادى.

٣ ، ٤ – وفى منتصف المسافة بينهما تقريبا يقع

دير الأنبا بيشوى ودير السريان (الذى ظهر الى الوجود ليس قبل القرن السابع) .

وادى النطرون :

هو عبارة عن منخفض يقع فى الصحراء الغربية ، ويمتد الى الغرب من الطريق الصحراوى بين القاهرة والاسكندرية ، ويتجه من الشمالى الغربى الى الجنوبى الشرقى ، وطوله نحو ستين كيلو مترا وعرضه نحو عشرة كيلو مترات .

وهو يشتهر منذ الفراعنة ببحيراته المتناثرة فى جهات متفرقة منه وهى مالحة ، ويستخرج منها الصودا والملح والنطرون والكبريت . ومن نباتاته الشهيرة الحلفاء . وكانت هناك بعض الحيوانات الضارية لكنها انقرضت تماما، منذ أوائل القرن العشرين . ويبعد هذا الوادى من طرفه الجنوبى عن القاهرة مسافة ثمانون كيلو مترا ، ومن طرفه الشمالى عن الاسكندرية مسافة ٨٥ كم ، واحط منسوب لبحيراته هو ٢٢ م تحت سطح البحر .

وكان يطلق على هذه المنطقة فى الكتب الرهبانية القديمة عدة أسماء مثل شيهيت ، والاسقيط ، واسقيط مكاريوس . ولكن الغالب عليها الآن الاسم الرسمى وهو وادى النطرون ، والذى يتبع اداريا محافظة البحيرة .

ويلزم التنويه ان وادى النطرون هـذا هو خلاف منطقة نتريا ، ومنطقة القلالى ، اللتان كانتا قديما المناطق الرهبانية الأولى ، والتى منها نزح الأنبا مقار ومعه البعض الى منطقة براموس الحالية .

ويجمع الدارسون على انه فى نحو سنة ٣٥٦ م كانت المراكز الرئيسـية الأربعة ، السابق ذكرها ، قد تبلورت وتميزت كجماعات رهبانية منظمة ، وذلك فى حياة انبا مقار نفسه وقبل نهاية القرن الرابع الميلادى .

دير سيدة براموس

(أ) تاريخيا

رأينا فيما سبق ، كيف ان منطقة براموس الحالية تعتبر موضع اول جماعة رهبانية أسسها القديس مقار الكبير نفسه ، نحو منتصف القرن الرابع الميلادى ، عندما حط رحاله بالقرب من البترا (قارة الملوك) والتى تبعد نحو ٤ كم شرق الدير الحالى ، لأول مرة حوالى سنة ٣٤٠م ، وحفر لنفسه بئرا وسكن هناك بالقرب من البحيرات . وجغرافيا هناك بالفعل بحيرات قريبة من (قارة الملوك) هذه ، وتعرف واحدة منها باسم (بحيرة الملوك) ايضا .

ثم ما لبث أن التف حوله عدد من الآباء الذين تاقوا الى الحياة معه والاستظلال بروحياته والتدرب النسكى على يديه . ثم بدأ هـذا العدد يتزايد بكثرة وبسرعة فبنى لهم كنيسة وارسى قواعد الحياة الرهبانية لهذه الباكورة المقدسة التى شكلت بذلك نواة أول (دير) رهبانى فى منطقة شيهيت (وادى النطرون) فى القرن الرابع .. وكان من جراء هـذا التزايد فى أعداد الراغبين فى هـذا النمط من الحياة ان نزح انبا مقاره الى جنوب الوادى موغلا فى الصحراء حتى وصل الى الطرف الجنوبى الشرقى ، وهناك أسس جماعته الرهبانية الثانية ، وامتد تبعا لذلك لقب

شيهيت ليغطى كل المنطقة من دير براموس شمالا الى دير انبا مقار جنوبا .

وعلى هذا الأساس تعتبر الكنيسة التى شيدها القديس مقاره حوالى منتصف القرن الرابع فى منطقة براموس الآن ، واشرف على بنائها بنفسه ، وصلى بها واقام عليها أنبا ايسيذورس القس فيما بعد . تعتبر هذه الكنيسة اول الكنائس التى تم بناؤها فى وادى النطرون ، وقد عرفت منذ البداية باسم « كنيسة شيهيت » ، ثم كان يطلق عليها ايضا فى الكتب الرهبانية اسم « كنيسة ايسيذورس » .

ومن ناحية أخرى فاننا نجد فى قصة حياة مكسيموس ودوماريوس ، كيف انه بعد نياحتهما ، بنوا فى موضع قلايتهما كنيسة عرفت باسم كنيسة برموس ، أومكسيموس ودوماريوس . وانه تبعا لذلك كانت هناك كنيستان فى هذا الموضع احداهما الأساسية التى بناها أنبا مقار ، وثانيتهما صغيرة باسم مكسيموس ودوماريوس .

وخلال التاريخ ، ولا سيما منذ القرن السابع الميلادى بدأت تبرز بالمقابلة جماعتان اساسيتان احداها باسم (دير) سيدة براموس والأخرى باسم (دير) براموس . وكان هذا الأخير يحمل ايضا اسم (دير) مكسيموس ودوماديوس ، وكذلك دير موسى ، وذلك نتيجة لسكنى الأنبا موسى الأسود ، فى هذه المنشوبية واستشهاده بها ،

وسكن تلاميذه فيها من بعده الى اوائل القرن الخامس عشر . وكان هذان الديران ضمن الأديرة السبعة ، التى اشار المقريزى الى وجودها فى تلك الحقبة .

ولكن فى اواخر ذلك القرن نفسه ، اندثرت كنيسة مكسيموس ودوماريوس ، او دير موسى ، كما اشتهر فيما بعد ، ونقل الرهبان رفات الأنبا موسى والأنبا ايسيذورس اللذين ، كانوا يحتفظون بها هناك الى دير سيدة براموس القائم حاليا . كما انه وفقا للتقليد السائد فى براموس فان رفات مكسيموس ودوماريوس موجودة تحت المذبح الأوسط للكنيسة الأثرية بالدير .

أما اطلال الكنيسة التى تخربت والمنشوبية التى اندثرت فهى قائمة عند الزاوية الشمالية الشرقية للدير الحالى على مسافة خمسين مترا تقريبا .. وكانت هذه الاطلال واضحة عندما زار هذه المنطقة احد قواد الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٩ م حتى انه قدر المبانى المنهدمة خارج سور الدير بنحو عشرة او اثنى عشرة بناية مقوضة (لعلها منشوبيات) ومنها كنيسة مكسيموس ودوماريوس ، ومغارة موسى الأسود .

وقد قام الأمير عمر طوسون سنة ١٩٣٥ م بالتعرف على المكان المفترض بعد ان اندثرت معالمه بالكامل ، واقام نصبا من الخرسانة المسلحة على اطلال هذا الدير الخرب ،

ووضع عليه لافتة من الشبة (البرونز) باسم دير انبا موسى باللغتين العربية والفرنسية ، ولكن بالطبع سرقت اللافتة بعد قليل .. وقدر مساحته بنحو فدان ، ١٩ قيراطا وعشرة اسهم .

وتنتشر فى هذه البقعة انقاض منشوبيات متفرقة مردومة . ويذهب احدهم الى افتراض أن الدير الحالى يضم جزء من الأديرة الخربة .

خلاصة القول ان كنيسة السيدة العذراء مريم الأثرية بالدير حاليا ، هى فى رأى الكثيرين ، فى موضع الكنيسة القديمة الأولى فى تاريخ الرهبنة ، والتى بناها انبا مقار ، وخدم فيها انبا ايسيذورس ، وكان يتردد عليها مكسيموس ودوماريوس ، ويصلى فيها الأنبا ارسانيوس الرومى . وهى لذلك اقدم الكنائس من نوعها القائمة فى وادى النطرون حاليا . وانه تبعا للتقليد السائد بدير براموس ، نقل الرهبان بعد خراب بيعة مكسيموس ودوماديوس اجسادهما ووضعوهما تحت المذبح الأوسط بهذه الكنيسة .

على انه من الناحية المعمارية يرى أحد المتخصصين فى الآثار المعمارية ، انه من الصعب افتراض تاريخ أقدم من القرن التاسع لأى كنيسة فى وادى النطرون ، نظرا للغارات الشديدة التى تعرضت لها فى القرون التسعة الأولى ..

وانه مع افتراض ان كنيسة سيدة براموس ربما تكون قد افلتت من الغارات المتاخرة التى هددت بشدة اديرة جنوب الوادى .. الا انه من الناحية المعمارية من الصعب افتراض اكثر من القرن السادس الميلادى تاريخا لها .

سبب التسمية :

ومنذ القرن الرابع الميلادى ، وعقب وفاة مكسيموس ودوماريوس . برزت تسمية « قلاية الروم » كلقب لكل منطقة شمال الوادى ، حيث سكن هذان الشابان الروميان. وحسب التقليد القبطى العام سادت هذه التسمية منذ أيام انبا مقار نفسه ، كما تذكر مخطوطة هذين الشابين .

وكلمة (براموس) هى تعريب للكلمة المصرية اليونانية التى تلفظ باللغة القبطية (باروميئوس) وترجمتها (الذى للروم) أى الموضع الذى للروم . مثلما كانت تسمى بعض الشوارع فى القاهرة القديمة باسم شارع الروم او شارع المغاربة .. الخ نسبة الى جنسية القاطنين فيها من الأهالى. وواضح اذن ان الكلمة قبطية اساسا وليست عربية ، مما لا يصح معه محاولة تفسيرها على اساس أنها تحوير للفظ عربى .

وعلى أية حال فمن الثابت تاريخيا ان منطقة شيهيت قد شهدت جنسيات عديدة .. فوجدنا مثلا ديرا للأحباش وآخر للأرمن .. وان كانت هذه الأديرة قد اندثرت . بل

ان (السوديان) حاليا ، حتى مع زوال العنصر السورى منه ، ظل حاملا للقب الشهرة الى الآن .

لذلك فان وجود القديس ارسانيوس اليونانى الجنسية بالاضافة الى مكسيموس ودوماديوس بغض النظر عما يثور حولهما من تساؤلات تاريخية فى نظر البعض ، لا مجال لعرضها الآن (حيث مجالها الأبحاث لتاريخية المتخصصة) قد جعل هذه البقعة تحمل هذا اللقب منذ البداية . خاصة انه من المؤكد أن الجماعات الرهبانية الأولى حملت منذ القرن الرابع اسماء مؤسسيها أو اشهر قديسيها المعتبرين بركة لها ، ولهذا الموضع او ذاك .

سيدة براموس :

ويجب ان نلاحظ أن كلمة (براموس) القبطية هى كلمة معرفة ، لا يصح ادخال اداة التعريف العربية ونظرا لان الكنيسة الأثرية على اسم السيدة العذراء مريم ، فان التسمية الصحيحة للدير الحالى هى دير القديسة العذراء مريم سيدة براموس) . ويمكن أن يدعى اختصارا دير « سيدة براموس » أى دير القديسة العذراء مريم ، فى البقعة التى عاش فيها الآباء الرومان (اليونان) .

الموقع الجغرافى :

يقع دير سيدة براموس فى الطرف الشمالى الغربى من وادى النطرون ، على مسافة حوالى عشرة كيلو مترات ،

الى الغرب من منتصف الطريق الصحراوى (القاهرة — الأسكندرية) عند الكيلو ١١٠ تقريبا . منها ثلاثة كيلو مترات مرصوفة والباقى (مدق) ، وتتراوح المسافة سيرا على الأقدام ما بين ساعة وربع وساعتين على الأكثر .

(ب) الناحية المعمارية

١ — السور وملحقاته :

راينا فيما سبق ان تاريخ الأسوار فى وادى النطرون يرجع على الأرجح الى القرن التاسع ، وانه كان نتيجة لاشتداد الأخطار التى تعرضت لها الجماعات الرهبانية . وكان أول سور يشيد هو سور دير أنبا مقار فى أواخر ذلك القرن . ثم انتشرت الأسوار بعد ذلك فى سائر الأديرة . حتى يمكننا القول بأن الطراز الحالى للدير بأسواره العالية، وحصنه المنيع ، كان قد استقر شكله منذ القرن العاشر تقريبا ، ولذا وجدنا السور يظهر فى شهادة احد المؤرخين فى أوائل القرن الثالث عشر .

والسور القديم الحالى ، بناء عال من الحجر المطلى بالجبس والذى تغير لونه بمرور الزمن ويبلغ طوله من الشرق الى الغرب مائة متر . ومن الشمال الى الجنوب ثلاثة وثمانون مترا . وكان قبل القرن الثامن عشر تسعة وستين مترا فقط . فأدخل المعلم ابراهيم الجوهرى على

نفقته الخاصة فى داخل الدير ، بعد نقل سوره القبلى ، مساحة ٢٤ متر عرضا بطول الدير . اى نحو فدان من الأرض . وبذلك اصبحت مساحة الدير القديم الحالى ، وكما قدرها عمر طوسون سنة ١٩٣٥ فدانين وثلاثة عشر قيراطا اى حوالى (١٠٧٠٠) متر مربع .

ويصل ارتفاع السور عن الأرض نحو ثلاثة عشر مترا ، وعرض حائطه متر ونصف ، حتى انه يمكن السير بأعلى السور من الداخل ، حيث ترك من عرضه نحو متر ، ثم يرتفع الحائط على النصف متر الباقى ، الى علو متر ونصف ، وفى هذا الارتفاع الأخير توجد طاقات (منافذ) كان يطل منها الرهبان على القادمين الى الدير .

(أ) الأبواب :

وعند نحو منتصف الجدار البحرى (الشمالى) يوجد الباب الرئيسى للدير ، وهو بارتفاع نحو مترين وعرض متر ونصف . داخل تجويف بارتفاع السور وعرض ٣٢٢ سم داخل الجسم الأساسى للجدار مكونا سقيفة بطراز معين .

وهذا الباب سميك جدا من الخشب الذى يكسوه كله محازم عريضة من الحديد ، ويغطى سطحه الخارجى أيضا لوح من الحديد . وجميعها مثبتة بمسامير ذات رؤوس كبيرة . ويحكم غلقه من الداخل بواسطة مزلاج من الحديد

من فوق وعارضة خشبية سميكة لتحرك فى وسط الباب شرقا وغربا خلال ثقب فى الحائط الشرقى للمدخل . وكان يستخدم فى فتحة مفتاح تقليدى من الخشب على شكل فرشاة الأسنان مثل المفاتيح التى كانت شائعة بريفنا المصرى .

وكان هذا الباب يوصد ايضا من الخارج فيما مضى بحجرين من الصوان شكلهما كشكل حجرى الرحى يبلغ طول محيط كل منهما ٢٢٥ سم بسمك ٤٥ سم . يوضعان راسيا على دائرتيهما . وسمكهما يسوغ ادخالهما معا جنبا الى جنب فى البناء . وهما حاليا مطروحان خارج الباب .

(ب) المطعمة :

وفوق الباب ، داخل سقيفة فى العقد الغائر فى جدار السور ، توجد غرفة صغيرة تسمى (المطعمة) . كان يحفظ فيها الخبز باستمرار . وفى أرضية هذه الغرفة طاقة (نافذة) تطل على باب الدير من الخارج ويمكن للراهب المنوط به الحراسة أن يعطى من خلالها الطعام لكل سائل يقرع أبواب الدير ، بواسطة سلة صغيرة تتدلى بحبل ، لذلك يطلق عليها هذا الاسم .

(ج) فرن الجبس :

والى جوار السلم المؤدى الى هذه المطعمة ، يوجد فرن

لحرق الجبس ، على شكل بئر صغير من الطوب الأحمر ،
وامام المدخل الرئيسى للدير ، توجد غرفة بها طاحو
للجبس ، وهى عبارة عن حجر كبير كان يدور بواسـ
البهائم على قاعدة يحيط بها سور قليل الارتفاع لحفظ
الجبس عند طحنه . وكان بعد طحنه يحفظ فى مخز
صغير أسفل المطعمة .

(د) ابواب أخرى :

كان هذا الباب الشمالى (البحرى) هو البا
الرئيسى والوحيد للدير الى عهد قريب جدا .. ولكن فى
سبعينات هذا القرن تم استخدام باب صغير آخر
الجدار الشرقى للسور يبلغ ارتفاعه نحو ١٨٠ سم وعرض
٩٠ سم تقريبا . وبالتدريج تركزت الحركة على هذا البا
حتى صار الآن هو الباب الأكثر استخداما للدير ، والذ
يدخل منه الزائرون .

وفى أوائل عام ١٩٨٤ نقب باب آخر فى الجدار الق
(الجنوبى) للسور ارتفاعه نحو ١٩٠ سم وعرضه
وسمك السور فى هذا الجزء ١٥٠ سم . وبذلك صـ
للدير بابان منحوتان فى السور القديم ، خلاف الـ
الأساسى القديم فى الجهة البحرية (الشمالية) .

٢ ـ كنيسة ماريوحنا المعمدان :

عندما تدخل عزيزى الزائر من الباب الشرقى للدير،
تجد على يمينك كنيسة ماريوحنا المعمدان . وبابها
رئيسى من الناحية الغربية .

شيدت هذه الكنيسة فى عهد المتنيح البابا كيرلس
خامس سنة ١٨٨٤ م . وذلك على انقاض كنيسة أبللو
ابيب ، التى كان قد بناها المعلم ابراهيم الجوهرى على
نفقته الخاصة سنة ١٧٧٣ م حسب طلب الرهبان فى ذلك
وقت ، والتى ظلت قائمة الى أن تصدعت تماما فاغلقت،
فى سنة ١٨٨١ م تم هدمها ، وهدم كنيسة صغيرة ثانية
نت الى جوارها باسم ماريوحنا المعمدان ، ثم بنيت
مكانهما الكنيسة الحالية ، على النحو الحالى ، وسميت
ذا الاسم .

والكنيسة مبنية على طراز العمارة المصرية ذات
باب ، وهى دقيقة الاستدارة ، وترتكز على دعامات
جرية ضخمة يبلغ استدارتها نحو ٦٦٠ سم تقريبا .
كون هذه الدعامات مجموعة من الأرشات (الأقواس)
مترجميلة المتداخلة .

وللكنيسة ثلاثة أبواب فى الجهات الغربية والبحرية
القبلية ، وتشتمل فى الداخل ، على ثلاثة هياكل وصحن
ثلاثة أقسام (خوارس) .

اما الهيكل الأوسط فتعلوه قبة مرتفعة ، وهى اعلى
واكبر قباب الكنيسة كلها . ويبلغ طول صحنها من الشرق
الى الغرب من الداخل نحو ١٦ متر تقريبا ، وعرضه
نحو ١٢,٥ م تقريبا ، خلاف الهياكل .

فى القسم الأول من الصحن وامام الهيكل الأوسط
مباشرة نجد قبة ثانية اقل ارتفاعا من قبة الهيكل
واصغر ..

اما فى القسم الثانى فنجد قبتان ، فى الناحيتين
الشمالية والجنوبية ، وفى الوسط قبو على شكل نصف
برميل .

وفى القسم الثالث توجد ايضا قبتان من الناحيتين
الشمالية والجنوبية ، امام كل من البابين الشمال
والجنوبى ، مع قبو اقل ارتفاعا على شكل نصف برميل
الوسط . اما الباب الغربى الرئيسى للكنيسة فيوجد فو
مدخله من الداخل قبو منخفض نسبيا على شكل نص
برميل .

وفى عام ١٩١١ اقام البابا يؤانس الـ ١٩ ، عندما ك
مطرانا ، وعلى نفقته الخاصة بعمل حجابها الخشـ
الأبيض المحلى بالأيقونات الزيتية الجميلة الصنع . وه
بالنسبة للناظر الى الشرق امام الهيكل الأوسط حسـ
الترتيب الآتى :

الى جهة اليمين : ١ ــ ايقونة السيد المسيح ممسكا
صولجانا وبشارة مفتوحة على فصل من الانجيل (انا هو
الراعى الصالح) .

٢ ــ ثم الأنبا انطونيوس الكبير .

٣ ــ الأنبا بولا السائح ثم باب الهيكل الجنوبى .

٤ ــ الملاك ميخائيل

والى جهة اليسار للناظر الى الشرق يجد على يساره
من باب الهيكل الأوسط .

١ ــ العذراء مريم حاملة السيد المسيح .

٢ ــ مارمرقس البشير .

٣ ــ أيقونة فريدة لمارجرجس الرومانى . ثم باب
الهيكل الشمالى .

٤ ــ مكسيموس ودوماريوس .

كما يزين أعلى حجاب الهيكل واحد وعشرين صورة
هى من الجهة الشمالية (البحرية) الى الجهة الجنوبية
(القبلية) حسب الترتيب التالى :

١ ــ الأنبا موسى الأسود .

٢ ــ القديس غريغوريوس (لعله اللاهوتى ..) .

٣ ــ الأنبا مقار .

٤ ــ الأنبا اثناسيوس الرسولى .

٥ ـ توما الرسـول .

٦ ـ تداوس الرسـول .

٧ ـ سمعان القانوى .

٨ ـ بولس الرسـول .

٩ ـ يوحنا الانجيلى .

١٠ ـ بطرس الرسـول .

١١ ـ العشـاء الربانى (فوق الهيكل الأوسـ
مباشرة) .

١٢ ـ اندراوس الرسـول .

١٣ ـ يعقوب بن حلفى .

١٤ ـ برثلماوس الرسـول .

١٥ ـ متى الانجيلى .

١٦ ـ يعقوب بن زبدى .

١٧ ـ فيلبس الرسـول .

١٨ ـ صورة ذبح اسـحق .

١٩ ـ القديس باسيليوس .

٢٠ ـ يوحنا المعـمدان .

٢١ ـ مرقوريوس أبو سيفين .

وقـد توج الحجاب من الوسـط أعلى باب الهيـ

الرئيسى بصليب كبير عليه صورة السيد المسيح وعلى يمينه صورة فى اطار منفرد للسيدة العذراء ، وعلى يساره صورة أخرى منفردة ليوحنا الحبيب .

وفى داخل الهيكل الأوسط توجد فى شرقيته صـورة للسيد المسيح جالسا على عرشه وحوله الأربعة مخلوقات غير الجسدانية .

تجديدها وترميمها :

ولكن الكنيسـة شهدت فى الحقبة الأخيرة ترميمات فى الستينات أيام الأنبا مكاريوس اسقف الدير المتنيح ، ثم تجـديدات فى الثمانينات . ففى عـام ١٩٨١ تم دهانها بالزيت من الداخل وتكسية جدرانها بالخشب الى ارتفاع ١٠٥ سم من الأرض .

وفى عام ١٩٨٣ قام الدير بانشاء معمودية حديثة فى الغرفة التى كانت مخصصـة لها فى الركن الشمالى الغربى من بناء الكنيسة ، أى على يسار الداخل من الباب الغربى مباشرة . ويبلغ ارتفاع جرن المعمودية عن الأرض ٨٩ سم وقطرها من الداخل ٦٥ سم وسمك جدارها ٣٠ سم وعمقها من الداخل ٥٦ سم . ومكسـية بالرخام ، وكذلك جدران الحجرة ، كما يكسو الأرضية بلاط السيراميك .

كما قام بتوسـيع الهيكلين الشمالى والجنوبى طوليا

الى جهة الشرق ، بعد ازالة ما كان وراءهما من مخازن .
وتعلية السـقف بازالة ما كان فوقهما من غرف قديمة .
وعمل بكل منهما مذبح جديد من الرخام . فضلا عن هدم
المذبح الحجرى القديم الذى كان فى وسط الهيكل الأوسط
واستبداله بآخر على شكل مائدة من الرخام الأبيض .

وفى يوم السبت ١٩٨٣/١١/١٩ قام قداسـة البابا
المعظم الأنبا شنودة الثالث ، السابع عشر بعد المـائة ،
بزيارة للدير ، دشن فيها المذابح الثلاثة ، والمعمودية الجديدة
بهذه الكنيسة .

ويبلغ طـول الهيكل الأوسـط من الشرق الى الغرب
٥٩٠ سـم بعرض ٤٨٠ سـم . اما مذبحه الجديد فأبعاد
قاعدته ١٢٠ سـم (شمال جنوب) × ٩٥ سم × ٩٥ سم
ارتفاع . ومساحة مسطحه ١٧٠ سم (شمال جنوب) ×
١٢٠ سـم .

اما الهيكل البحرى (الشمالى) ، وقد دعى باسـم
ابللو وابيب ، فيبلغ طوله من الشرق الى الغرب نحو ٢٥٠سم
وعرضـه نحو ٢٨٠ سـم ، ومذبحه الرخامى ٩٠سـم ×
ابللو وابيب ، فيبلغ طوله من الشرق الى الغرب نحو ٥٢٠سم
تقريبا .

واما الهيكـل الجنوبى (القبلى) فهو باسـم أنبـا
ارسـانيوس وطوله من الشرق الى الغرب ٥٧٥ سم × ٢٩٥

سم تقريبا . ومذبحه ٨٥ سم × متر × ٩٠ سم ومسطحه
العلوى ١١٠ سم × ١٠٥ سم تقريبا .

وارتفاع قامة باب كل من الهيكلين ٢٠٥ سم بعرض
١٠٥سم تقريبا .

كذلك تم تخصيص غرفة خاصة على يمين الداخل من
الباب الغربى مباشرة طولها ٥٨٠ سم × ٤٨٠ سم تقريبا
من الخارج ، للكتب الطقسـية الكنسـية (قطمارسـات
وابصلموديات وخولاجيات .. الخ) وتم تجهيزها بالدولايب
والأرفف الحديثـة الأنيقة ، وصـارت فى عهدة الراهب
المسئول عن شئون الكنائس بالدير .

٣ ـ قصر الضيافة القديم :

والى الغرب من كنيسة ماريوحنا المعمدان يجد الزائر
مبنى من طابق واحد الآن ، هو فى الأصل (قصر) للضيافة،
شيده المتنيح البابا يؤانس الـ ١٩ سنة ١٩١١ م ، وهو بعد
مطران . ويجب ملاحظـة أن المبانى الضخمة نسـبيا فى
الأديرة ، كان يطلق عليها قديما كلمة (قصر) . وذلك حتى
لا يحدث التباس فى فهم الكلمة بمعناها اللغوى المعروف .

وكان هـذا المبنى يتكون من طابقين ، ومجهز بغرف
كثيرة للنوم مؤثثة بالأثاث الفاخر والفراش الوثير ، خلاف
صـالات الاستقبال ، ومائدة الطعام بأدواتها . وقد أمده

بالمرافق النظيفة ، مما جعله لائقا باستقبال كبار الزوار من رجال الدولة والأساقفة والأكليروس . وكان البابا ينزل فيه آنذاك عند زيارة الدير . وقد وصف أحد الزائرين الأجانب الذى زار الدير سنة ١٩٢٠ م بانه قطعة شبه اوربية (آنذاك) .

ولكن الطابق الثانى تداعى بمرور الزمن ، فتم هدمه سنة ١٩٧٨ م . اما الطابق الاول فقد أعيد ترميمه ترميما مؤقتا عام ١٩٨٤ م للاستفادة به ، فى خدمات الدير ، واستقبال الزوار ، وذلك الى حين استبداله بآخر .

ومما يلفت النظر ان الاسقف الخشبية لهذا القصر ، كانت تتحلى بحشوات خشبية ذات شكل معين .

٤ ــ المنارتان :

فاذا ما دخل الزائر الى وسط الدير ، سوف يجد فى الجهة البحرية (الشمالية) ، منارتين فى الوسط ، ذات قباب ترتكز على أعمدة مستديرة .

ويرجع تاريخ انشائها الى عام ١٩٢٠م عندما قام المتنيح انبا توماس مطران المنيا وأحد رهبان الدير سابقا ، ببنائهما على طراز منارتى كنيسة السيدة العذراء بالمنيا .

ويلاحظ ان المنارة الغربية أضخم قليلا من المنارة

الشرقية . ويقال أن ذلك اشارة الى مكسيموس ودوماديوس .

وقد أعيد ترميم ودهان هاتان المنارتان فى عام ١٩٨١م، كما تم استبدال الصليبين الحديدين الثقيلين اللذين كانا فوقهما بآخرين مصنعين حديثا ، ومزودين بمصابيح كهربائية (فلورسنت) تضاء ليلا لارشاد القادمين للدير فلا يضلون طريقهم . وبذلك صار الدير فنارا فى الصحراء . كما حليت المنارتان بصلبان صب من الجبس .

وبالمنارتين جرسان ، أحدهما كبير والآخر صغير ، نقش على احدهما أسماء البشيرين الأربعة باللغة الروسية .

وفى هذا الصدد يلزم أن ننوه الى انه من الثابت تاريخيا ان تاريخ دخول هذه الأجراس بشكلها الحالى الى كنائس وادى النطرون ، يرجع الى عهد قريب جدا .. وان كان من الصعب تحديده ، الا انه كما يقول هوايت لن يكون قبل القرن الثامن عشر بأى حال من الأحوال .

هذا ويوجد فى الدير جرس ثالث يبلغ قطره نحو ٤٨ سم وارتفاعه ٤٢ سم ومكتوب عليه أسماء الأنجيليين الأربعة . وغير معروف ايضا تاريخه أو مصدر صنعه ، ولعله من فينسيا .. ويرى هوايت انه ربما نقل من

الاسكندرية الى الدير فى فترة من الفترات . وهذا الجرس يستخدم فى أعمال مجمع الدير .

٥ ـ الكنيسة الأثرية وملحقاتها :

تعتبر كنيسة السيدة العذراء بالدير ، فى نظر معظم الدارسين ، كما راينا هى أقدم الكنائس من نوعها فى الوادى . وهـذه الكنيسة قائمة على أساسات الكنيسة الأولى التى كانت تعرف بكنيسة ايسيذورس او كنيسة شيهيت .

هذه الكنيسة من الناحية المعمارية ، يرى هوايت انها تحتوى على اجزاء معمارية يتفاوت تاريخها فى القدم ، عبر فترات طويلة ، ويعتقد ان الركن الجنوبى الغربى ـ المعروف حاليا بعمود القديس ارسانيوس ـ هو أقدم الأجزاء المعمارية فى الكنيسة ، والتى يمكن ان يكون قد اخذ من المبانى الأقدم ، التى كانت قائمة ، قبل القرن التاسع الميلادى او يكون قد سلم من التدمير . ولكنه يرى انه من الصعب افتراض مبنى كنسى فى وادى النطرون أقدم من القرن التاسع بصفة عامة .

وتبلغ مساحة هذه الكنيسة من الداخل نحو أكثر من الف متر مربع . وهى مبنية ، كما يقول الثقاة ، على الطراز القبطى اى المصرى الصميم . ويغطى هياكلها

الثلاث ، ثلاثة قباب ، أما صحنها فمغطى بسقف جمالونى الشكل . وتقع هذه الكنيسة فى الجهة الغربية من الدير .

للكنيسة بابان . احدهما من الناحية البحرية (الشمالية) . ويعتبر هوايت أن سقيفة مدخل هـذا الباب ، بلا شك من أقدم أجزاء الكنيسة كلها ، وانه يعود الى أوائل القرن التاسع أو أواخر القرن الثامن ، حيث ان وجود الحصن يفترض بالتالى معه فى نفس الوقت وجود هذه السقيفة .

والباب الثانى من الجانب القبلى (الجنوبى) . وهو حسبما يرى البعض احدث نسبيا .

ويدخل الزائر الكنيسة من بابها البحرى ، حيث ينزل ثلاثة درجات عن مستوى أرض الدير حاليا ، فيجد المدخل . ويشاهد فوق قائمةالباب كتابة بحروف قبطية ،هى عبارة عن اختصار اسم السيد المسيح باليونانية . وفوقها حلية بسيطة . وهذا الباب ارتفاعه نحو ١٩٤ سم وعرضه ٨٢ سم . وفى عتبة الباب ، يجد الزائر عامودا رفيعا من الرخام ، بالطبع واضح انه مأخوذ أو منقول من بقايا اعمدة قديمة .

ثم ينزل المرء درجتين اخريتين ليصل الى ارضية الكنيسة ، وهى بذلك تكون أسفل مستوى أرض الدير بخمس درجات .

وتنقسم الكنيسة من الداخل الى ثلاثة هياكل ، وصحن من ثلاثة اقسام .

(ا) الهياكل :

وتبلغ مساحة الهيكل الأوسط نحو ٤٧٠ سم × ٥٦٠ سم تقريبا . تعلوه قبة على الطراز القبطى - ويرى البعض انها تعود بالطبع الى القرن التاسع ، وهى مبنية بطراز خاص ، مكونة شكلا هندسيا بديعا من الداخل . ويقال أن هذه القبة ليس لها مثيل فى قدمها وطرازها الا واحدة اخرى بأحد مساجد القاهرة التى تعود الى العصر الفاطمى. وقد بدأت هذه القبة تتداعى فى الوقت الحالى . واننا لنتمنى من كل قلوبنا الاسراع بترميمها ، وفقا للأصول العلمية فى مرميم الآثار ، حفاظا ليس فقط على شكلها التقليدى ، ولكن ايضا على نفس وكيفية استخدام المواد التى استخدمت فى بنائها ، فلا يكون ترميما بأسلوب عفوى أو متسرع باسم التحديث والتجديد . ولا أظن أنه من الصعب على رجال عصر التكنولوجيا ، الوصول الى نسب وتركيب هذه المواد !! .

اما الهيكلين الجانبين فتتراوح مساحة كل منهما ٤١٠ سم × ٤٨٠ سم تقريبا . وتعلو كل منهما قبة تصغر عن القبة الوسطى . وهما مجددتان فى أوائل ستينات هذا القرن بمعرفة المتنيح الانبا مكاريوس ، وعلى طراز بسيط.

اما باب الهيكل الأوسط فهو مصنوع من خشب الجميز ، وطوله نحو ستة امتار ، وعرضه نحو مترين . وتتكون من اربع ضلفات بمفصلات كبيرة . وكل ضلفة بها حشوات جميلة الشكل بديعة الصنع ، مزينة بالفن الثمان القبطى . ولكن هذه الضلفات الأربع ، لا تفتح الآن ، فقد شق الرهبان فى زمن ما بابا فى وسطه بارتفاع نحو مترين، لا يتسع الا لشخص واحد ، وثبتوا بالمسامير بقية الضلفات فى موضعها .

وعلى الحجاب الحجرى للهياكل نجد عدة صلبان متعددة الأشكال ، منها المثلث الأطراف ، ومنها الثمانى ، وكلها من طرز قبطية . كما يوجد بسقف الكنيسة على جانبى الجمالون عدة طاقات (نوافذ) للأسف سدت فى زمن ما ، ونقبت عوضا عنها نوافذ أخرى ، وعلى عكس تصميمها المعمارى القديم ، كما يقول أحد الدارسين .

(ب) صحن الكنيسة :

ينقسم صحن الكنيسة من الشرق الى الغرب الى ثلاثة أقسام (خوارس) :

أما القسم الأول من صحن الكنيسة ، فيعلوه سقف جمالونى يمتد من الشمال الى الجنوب . ويبلغ عرض هذا الخورس نحو ١٢٫٨ متر من الشمال الى الجنوب ، بطول

[illegible] (شرق غرب) ، وارتفاع السقف نحو [illegible] المتر .

ويفصل القسم الأول عن الثاني حائط [illegible] سمكه نحو ٦٠ سم ، فتحت فيه ثلاثة أبواب [illegible] الثلاثة لهيكل الكنيسة .

وفي هذا القسم يجد الزائر في الركن الشمالي [illegible] جميلة من الخشب المطعم ، دقيقة الصنع ذات [illegible] على الطراز القبطي القديم ، صنعت على نفقة الأنبا [illegible] المتنيح مطران النوبية الأسبق عام ١٩٥١ ، وبها [illegible] الخشب طول كل منها ١٤١ سم ، مثبتة الشكل [illegible] نحو ٤٠ سم ، محفوظ في احداهما ، كما يذكر [illegible] رفات القديس أنبا موسى الأسود ، وفي الأخرى [illegible] أنبا ايسيذوروس القس [illegible]

أما في القسم الثاني ، فيجد (الأمل) أي الشير ، في [illegible] الشمالي الشرقي لوسط الكنيسة ، وهو يعلو عن الأرض [illegible] مترين ، مرتكزا في جانبه الجنوبي على عامود من الخشب [illegible] ومن الناحية الشمالية مثبت في احدى دعامات القسم الثاني [illegible] ومن الناحية الشرقية في الجدار الفاصل بين القسمين [illegible] ولهذا الشير مدخل تسلق بابه من القسم الأول من [illegible] الهيكل ، ويتقدم بسلالم داخل الجدار ، ويستطيع [illegible] شخص بمفرده [illegible]

ويعلو القسم الثاني سقف جمالوني يتجه من الشرق الى الغرب ، ويرتكز على ستة دعامات ، ثلاثة في كل جانب يبلغ محيط كل منها نحو ١م تقريبا ، ولكل منها عامودين .

أما القسم الثالث ، فيعلوه سقف مسطح عادي .

وفي هذا القسم يجد الزائر في وسطه ، حوضا من الرخام في الأرض طوله نحو ٢٣ سم وعرضه نحو ٦٠ سم ، وفي وسطه تجويف مستدير يبلغ قطره ٢٥ سم وعمقه ١٤ سم تقريبا ، وكان هذا الحوض يستخدم فيما مضى ، في قداسات اللقان المعروفة في خميس العهد ، وعيد الغطاس ، وعيد الرسل .

أما في الناحية الجنوبية الغربية لهذا القسم ، فيوجد عامود منفرد ، خارجا عن صف باقي الدعامات الضخمة .

ويرى الدارسون المعماريون أنه لا يخدم أي غرض معماري بوضعه القائم ، ولذلك فهو قطعا من أطلال البناء القديم للكنيسة ، وإن هذا الركن هو بالتأكيد أقدم الأجزاء الأثرية المعمارية الموجودة بالكنيسة .

وهذا العمود كما يرى البعض ، منحوت من الحجر ، وتاجه منقوش على الطراز الفرعوني البديع ، الأمر الذي يرجح معه البعض أنه اما صنع محليا (في الوادي) ، واما تم جلبه من الأطلال القديمة بالمنطقة آنذاك . ويرى هوايت في نقشه طراز التاج الكورنثي ، مما يشير الى تاريخ مبكر ،

كان الفن البيزنطى ـ حسب رأيه ـ هو السائد .
اعتقادى أن النقوش التى بهذا التاج تحتاج الى دراسة .

وعلى آية حال ، فقد احتفظ التقليد الرهبانى بالـ
لهذا العمود ، باسم عامود القديس ارسانيوس معلم أو
الملوك ، استنادا الى تقليد يروى عنه ، مؤداه انه كان
خلف هذا العامود ، أثناء الصلوات الكنسية ، صامتا ، با
طول الوقت .

(ج) المعمودية :

وفى الناحية الشمالية الغربية ، توجد غرفة المعمودية
وجرنها ايضا فى الشمال الغربى . وقد تم تجديد هذا
الجرن ، بعد ان تداعى كلية فى عام ١٩٧٨ ، بنفس الحجر
والشكل ، الذى كان عليه سابقا .

(د) كنيسة مارجرجس :

والى جوار باب المعمودية ، وفى اقصى غرب الكنيسة
الاثرية ، من الناحية البحرية . توجد كنيسة صغيرة باسم
مارجرجس ، مكونة من هيكل مقتطع من الجناح البحرى
لكنيسة السيدة العذراء ، وصحن مساحته حوالى ٥ × ٦
متر ، يعلوه قبة نصف كروية . اما باب الهيكل فهو نحو
مترين ارتفاعا وهيكلها نحو ٢٤٠ سم × ٢٤٠ سم ، ومذبحها
من الحجر وابعاده ٩٠ سم × ٩٠ سم × ١,١٠م ارتفاعا .

وكان هوايت يظن أنها ليست قبل القرن الثانى عشر
الميلادى ، ولكن فى الحقيقة وجدت كتابة باللغة الأرمينية
القديمة ، على الجدار الشرقى لها والى جوار باب الهيكل
مباشرة ، يرجع تاريخها الى اوائل القرن الحادى عشر .

(هـ) كنيسة الأمير تادرس :

تقع هذه الكنيسة الى جانب الباب البحرى (الشمالى)
على يسار الداخل مباشرة ، وهى من صحن وهيكل . ويبلغ
صحنها نحو ٣,٥ × ٣,٥ متر وهيكلها نحو ٣ × ٢,٥ م .
ويعتقد البعض انها تعود الى حوالى القرن الثالث عشر
الميلادى تقريبا .

٦ ـ المائدة الأثرية :

عندما يتجه الزائر الى الناحية الغربية الجنوبية من
الكنيسة الأثرية ، يجد ممرا يؤدى به الى صالة مستطيلة
من الشرق الى الغرب . ويبلغ طولها نحو ١٤ متر وعرضها
نحو ثلاثة أمتار . ويبلغ ارتفاع باب هذه الصالة نحو ١٧٤سم
وعرض ٨٨ سم .

وفى داخل هذه الصالة توجد مائدة من الحجر المكسى
بطبقة من الجبس ، اصطبغ لونها لطول الزمان ، وطولها
طول الصالة ، وعرضها نحو متر . وعلى جانبى المائدة من
الناحيتين الشمالية والجنوبية ، يوجد مقعدان من الحجر

أيضا بطولها ، وارتفاع كل منهما عن أرضية الصالة نحو ٥٠سم وعرض نحو ٥٠سم أيضا . وترتفع المائدة عن الأرض حوالى ٩٢ سم .

وتنقسم المائدة الى ثلاثة اقسام ، بين القسم والآخر نحو ١٥سم ، ببرواز بسيط .

وكانت العادة فيما مضى ان يجلس الرهبان بحسب رتبهم من شيوخ وشباب ومبتدئين من الشرق الى الغرب ، لتناول الطعام معا بعد الصلاة ، ويقف رئيس الدير خلف منجلية من الحجر على شكل حرف (Y) ليقرأ لهم من كتاب البستان ، الى أن ينتهى الجميع من تناول طعامهم .

وهذه المنجلية فى الركن الشمالى الشرقى للقاعة ، على بعد اكثر من مترين مقعدها الخارجى ، وارتفاعها ١٤٢سم تقريبا . وبها طاقة صغيرة فى مواجهتها ، ربما لوضع الشموع فيها . ويبلغ عرض ضلعها الخارجى نحو ٤٦سم تقريبا ، ومن الجانب نحو ٣٧سم تقريبا .

ومن الناحية الشمالية للقاعة توجد مصطبتان على يمين ويسار الداخل من الباب . الأولى يبلغ طولها حوالى ١٩٥سم وعرضها نحو ٦٥سم وترتفع عن الأرض نحو ٤٠ سم . وأما الثانية فطولها نحو ٣٧٥ سم بعرض ٦٥ سم وارتفاع ٤٠ سم . كانتا تستخدمان فى الغالب لوضع الطعام أو الصحون أو ما شابه ذلك .

وفى نهاية الصالة من الناحية الشمالية الغربية ، توجد غرفة صغيرة ، لعلها كانت قديما مخزنا للطعام والمؤونة، لكنها حاليا تحتوى على معصرتين من الخشب لصنع الاباركه. يرجع تاريخهما الى نحو سبعين سنة مضت ، وحاليا لا يستخدمان . وفى داخل هذه الغرفة ، توجدغرفة علوية يتم الصعود اليها بسبعة درجات ، وكانت بلا شك مخزنا للدمجانات ، وهى خالية الآن .

وللقاعة باب آخر من الناحية الغربية الشمالية ، منخفض الارتفاع نحو ١٥٥سم × ٧٠سم ، كان يؤدى الى المعجن والمطبخ ، لتؤخذ منها الاحتياجات اللازمة ، وهو بالطبع غير مستعمل الآن .

وفى الناحية الشرقية للقاعة ، تظهر آثار باب مسدود، أبعاده ٢٢٠ × ٨٥سم كان يؤدى الى ردهة الباب الجنوبى للكنيسة الأثرية . ويذكر رهبان الدير من الشيوخ ان أحد أمناء الدير فى الخمسينات من هذا القرن كان قد نقره فى الجدار !! ثم أعيد سده بالطوب مرة أخرى فى حقبة تالية .

أما سقف القاعة فهو من الناحية المعمارية ، على شكل قبو ، وينقسم الى ثلاثة أقسام أيضا ، وبكل جزء منه ، طاقة لتنير القاعة ، ويظهر منها اثنتان فقط الآن .

٧ - الحصن :

وأمام الكنيسة الأثرية ، من الناحية الشمالية ، يجد الزائر الحصن الذى كان يحتمى به الرهبان العزل من غارات البربر والعربان الرحل ، اللذين كانوا يشنون الغارات على الأماكن العامرة ، فى الأزمنة الغابرة ، التى كان ينفرط فيها حبل الأمن ، بقصد السلب والنهب .

وكان يطلق على هذا المبنى فى الكتب القديمة عدة أسماء مثل (القصر القديم) أو الجوسق أو (قستلية) .

وكما هى العادة فى كل الأديرة ، يوجد الحصن الى جوار الكنيسة ، ويتم الوصول اليه عن طريق معبر متحرك (كوبرى) معلق من الخشب ، مثبت عند أحد طرفيه ، فى عتبة باب الحصن . ويبلغ ارتفاع هذا الباب من العتبة الى الأوش نحو ١٨٧ سم وعرضه من الحائط الى الحائط نحو ٨٤سم وبداخله باب ثقيل من الخشب المسلح بأحزمة من الحديد . ويوجد هذا الباب فى الطابق الثانى من الحصن، وبذلك يرتفع عن أرض الدير نحو ستة أمتار ، ولا توجد أية فتحات أو منافذ فى طابقه الأول (الأرضى) . ويرتكز الكوبرى الخشبى عند طرفه الثانى على سطح مدخل الكنيسة الأثرية .

ويتكون هذا المبنى من ثلاثة طوابق ، الأول به مخازن للطعام ، وبئرا أسفل الحصن للشرب منه أثناء الحصار .

وكان الرهبان عادة يخزنون الخبز الجاف ، والترمس الذى يعد طعاما كاملا ، لا يتعبون فى تجهيزه . وفى الطابق الثانى توجد مخادع الرهبان . وفى الطابق الثالث توجد كنيسة صغيرة على اسم الملاك ميخائيل بصفته الملاك الحارس الذى يدافع عن الدير ورهبانه . الى جانب عدد آخر من مخادع الرهبان .

فاذا ما استشعر الرهبان خطرا ما ، فر الشيوخ والمرضى الى سطح الكنيسة ، وعبروا عن طريق الكوبرى المعلق الى داخل الحصن ، وبعد دخولهم يغلقون الباب ، ثم يرفعون المعبر بواسطة سلاسل حديدية مرتبطة بطرفه الذى على سطح الكنيسة ، وذلك بواسطة بكرة رفع مثل بكرة البئر ، وأمامها فتحات مستديرة صغيرة ينظر منها مدير البكرة ليطمئن على احكام غلق باب الحصن بجسم المعبر . وبذلك يرتفع الكوبرى ليصبح عموديا أمام باب الحصن ، داخل تجويف طولى فى الحائط . وبالتالى يتعذر على المغيرين اللحاق بهم او اقتحامه . ويظلون فى الداخل الى أن تنتهى الغارة وبعدها يعودون الى مغاراتهم او قلاليهم . وتوجد هذه البكرة فى الطابق الثالث .

ويرى هوايت انه من الناحية المعمارية يعتبر حصن دير سيدة براموس الحالى ، أقدم الحصون القائمة فى الوادى .

ويستدل بذلك على أن طرازه المعمارى أكثر بدائية ، مما يدل
على أنه من تاريخ مبكر جدا ، من القرن التاسع أو قبله بقليل .

ونلاحظ معماريا أيضا أن نوافذ المخادع مصممة على
نحو يسمح بالانارة والتهوية دون أن يستطيع المهاجمون
استخدامها فى الحاق الضرر بالرهبان . فهى ضيقة من
الخارج ، وواسعة من الداخل ، منحدرة من أعلى من الخارج
الى أسفل من الداخل . وبذلك تسمح بدخول الهواء وتجدده
داخل الغرف .

هذا بخلاف مسقط النور الذى جهز به الحصن من
الداخل ، وصمم على شكل الأنف ، ليخرج الهواء الساخن
من احدى فتحتيه ، ويندفع الهواء البارد من الأخرى .

هذا وقد قام المعلم ابراهيم الجوهرى سنة ١٧٧٢م
بترميم هذا الحصن وتجديد كنيسته . وفى سنة ١٩١١م
قام أحد الرهبان ببناء غرفة صغيرة فوق سطح الحصن ،
وسكن فيها .

٨ – المكتبة :

كان العالم الجليل القمص عبد المسيح صليب
المسعودى (– ١٩٣٥) هو صاحب الفضل الأول فى تزويد
مكتبة الدير بالمؤلفات القديمة والحديثة ونسخ العديد من
المخطوطات القديمة من المكتبات المختلفة كما هو ظاهر

بالنسخ الموجودة بها ، وتنسيق وتبويب وتصنيف هذه
الكتب ، فضلا عن الملاحظات الكثيرة التى وضعها على
هوامش الكتب ، والتصحيحات والمراجعات التى تلمس
بصماتها فى كل كتاب . وكان لذلك مبعث الاعجاب الشديد
من قبل المؤرخ هوايت . كما وصفه أحد الكتاب بأنه صاحب
الأيادى البيضاء على مكتبات الأديرة والدار البطريركية فى
زمنه .

وقد قام المتنيح الأنبا ديسقورس مطران المنوفية
باحصاء الكتب التى كانت تضمها المكتبة عام ١٩٦٠م ،
ووضع جداولا خاصة بأنواعها المختلفة ولغاتها المتعددة من
عربية وقبطية وسريانية وتركية وحبشية ويونانية وعبرانية،
فضلا عن اللغات الأجنبية الحية ، ونشر هذه الجداول فى
كتاب خاص به .

ولكن المكتبة خضعت فى السبعينات لاعادة تبويب
وتصنيف . ويصل حاليا عدد الكتب المطبوعة فى سائر
الأقسام الدينية باللغة العربية أكثر من ثمانية آلاف كتاب ،
معظمها مطبوعات حديثة . ولكن بعض نسخها تعتبر طبعات
قديمة مثل كتاب مقدس عهدين بشواهد طبعة رومية
سنة ١٦٧١م . وهذا بخلاف أكثر من الف كتاب خاص
بالصلوات والقراءات الكنسية . وأكثر من ثلاثمائة كتاب
باللغتين الانجليزية والفرنسية ، معظمها كتب قديمة لتعليم
اللغة .

اما عن عدد المخطوطات الموجودة حاليا بالدير ،
سلمت من الاتلاف والضياع والسرقة فيصل الى
مجلد . ولكن يلزم التنويه بأن هذه المخطوطات هى فى م
مخطوطات كنسية (أى قطمارسات وابصلمو
وخلافه ..) . اما المخطوطات التفسيرية ، فلا تتجاوز
قليلا من التفاسير ليوحنا فم الذهب ، معظمها منسوخ
مخطوطات اخرى موجودة بمكتبات الأديرة الأخ
أو البطريركية .

هذا ويذكر دليل المتحف القبطى ان أقدم النس
المخطوطة الموجودة بمكتبة الدير يعود تاريخها الى حوا
سنة ١٣٨٠م . ومن ضمن المخطوطات القديمة كتاب تفس
المزامير لأثناسيوس الرسولى ، وقوانين كيرلس بن لقلق
وتاريخ نساخته سنة ١٨٤١م ، وتوجد نسخ من قوانين
الملوك والمجامع والكتب المقدسة القديمة .

٩ ـ القلالى :

شهد الدير فى القرن الحالى عدة موجات من التعمير
المعمارى ، ففى البداية قام الدير ببناء مجموعة ذات طابقين
من القلالى ، بكل منها غرفتين متداخلتين ، واحدة للجلوس
والأخرى للنوم . وذلك فى الناحية الشرقية والبحرية .
ملاصقة للسور وتطل على حديقة الدير الوسطى والبحرية.

ثم تم بناء مجموعة أخرى من القلايات شرقى الكنيسة
الأثرية بالدور الثانى ، وخصص الحيز الموجود تحتها فى الدور
الأول للتخزين .

وفى عام ١٩٦٠م قام المتنيح الأنبا مكاريوس اسقف
الدير ، ببناء مجموعة اخرى من القلالى بجوار السور الغربي
بأسقف من الخرسانة المسلحة ، كل منها من غرفتين
متداخلتين ، وبهما نافذتين ليدخل منهما الهواء واشعة
الشمس .

وقد ادى ذلك الى هدم طاحونة للغلال قديمة بالدير ،
كانت تقع فى هذا الجانب ، وصفها المؤرخ هوايت بأن قطرها
ثمانية امتار ، وكانت ذات قبة نصف كروية ، تساوى قبة
هيكل الأنبا بنيامين بدير أنبا مقار !!

وفى سبعينات هذا القرن ، تداعت مجموعة القلالى ذات
الطابقين المتاخمة للسور الشرقى ، وتم هدمها ، وبنى فى
موضعها اربعة قلالى منفردة ، على طراز حديث ، وكل منهما
بقبو برميلى ، وفى داخلها غرفتين ومنافعها الخاصة بها .

١٠ ـ المنافع العامة بالدير :

(أ) المياه :

كان الرهبان حتى أوائل القرن الحالى يشربون ويروون
حدائقهم ، من بئر داخل الدير ، بواسطة ساقية قديمة،

كان موضعها امام كنيسة ماريوحنا المعمدان . وكان ماؤها مالحا .

وفى عام ١٩٠٢م قام البابا يؤانس التاسع عشر ، عندما كان مطرانا ، بزيادة عمقها بضعة امتار ، وعهد بذلك الى مهندس متخصص لعمل اللازم . ونقصت ملوحة الماء بعض الشيء .

وفى عام ١٩١٤ قام أيضا وعلى نفقته الخاصة بتزويد الدير بطلمبة ارتوازية ، تم تركيبها فى الحديقة البحرية ، فكان ماؤها اقل ملوحة .

وعندما صار بطريركا ، قام سنة ١٩٣١م بتركيب ماكينة جديدة تصلح للرى وطحن الغلال وتوليد الكهرباء . وبذلك أمكن استخدام الكهرباء فى الدير لأول مرة لاضاءة الكنيستين الأثرية والجديدة ، وقصر الضيافة . وبالطبع كانت هذه الماكينة تستخدم فى الانارة فى الأعياد وزيارة البابا . وعندما لمس منافعها ، عممها فى سائر الأديرة .

وفى عام ١٩٥٦ غير المتنيح الانبا مكاريوس اسقف الدير ، هذه الماكينة ، واستبدل الماسورة بأخرى مقاس ٦ بوصة وبعمق ٥٥ متر ، وبنى لها صهريجا عاليا بارتفاع نحو ١١ متر خلاف ارتفاع خزانه ، الذى تتراوح سعته ٢,٥ × ٢,٥ × ٢ متر تقريبا . وبذلك أمكن تزويد الدير بشبكة من مواسير المياه لخدمة المنافع العامة والقلالى .

(ب) الصرف الصحى :

كما قام الأنبا مكاريوس المتنيح ايضا ببناء دورتى مياه حديثتين ، فى الناحيتين الشرقية والغربية .

ولكن فى عام ١٩٨٢م تم تجديد دورة المياه الغربية بالكامل وتزويدها بالأدوات الصحية الأحدث وتكسية جدرانها بالقيشانى . كما تم عمل دورة مياه بالجهة الشرقية بدلا من القديمة ، التى قد أزيلت ضمن الجزء الذى تم هدمه فى السبعينات .

(ج) الحدائق :

كذلك اهتم الدير ، فى أوائل هذا القرن بانشاء حدائق فى داخله لتلطيف حرارة الجو ، والاستفادة بزراعتها ببعض الخضروات الطازجة ليتناولها الرهبان فى هذا القفر . فانشأ حديقة مستطيلة فى الجهة الجنوبية للدير تمتد من قرب الحائط الشرقى الى قرب السور غربا . بالاضافة الى حديقة اخرى فى وسط الدير أمام المنارتين وقصر الضيافة القديم . وحديقة ثالثة شمالى كنيسة ماريوحنا المعمدان ، ورابعة فى الجهة الشرقية الشمالية . وحديقة خامسة صغيرة فى الجهة الشمالية بالقرب من الباب الشمالى (البحرى) للدير .

وهذه الحدائق بها بعض أشجار البرتقال والجوافة والليمون والخروب والرمان بالاضافة الى الزيتون والنخيل .

وكان الرهبان يزرعون بها بعض اصناف الخضروا
الطازجة .

(د) المخبز :

كان الدير حتى عام ١٨٩٤م يستخدم مخبزا ، ي
خلف قصر الضيافة ، ويعمل بالحطب . وازاء صعو
حصول الدير على الحطب وارتفاع تكلفة نقله ، تم انـ
مخبز جديد يعمل بالفحم فى الناحية الجنوبية (القبليـ
للدير ملاصقا للمعجن . واستمر استعمال الفحم حـ
الستينات حينما استبدل بالغاز .

وفى عام ١٩٨٤ تم هدم هذا الفرن وبناء آخر جـ
داخل المكان نفسه ومقابلا له .

(هـ) المطبخ :

وكان يوجد بالدير حتى السبعينات ، بعض الموا
التى تدار بالسولار . ولكن فى أواخر عام ١٩٨٣ تم بناء مبـ
خاص ، أمام الطاقوس (المدفن) فى الجهة الجنوبية
الدير ، وزود بمواقد حديثة تدار بالبوتجاز .

(و) المدفن :

اما عن المدفن العام للرهبان المنتقلين ، فانه يوجد فى
الزاوية الجنوبية الغربية . وكان بعين واحدة حتى
عام ١٩٣٢م ، حيث قام الدير ببناء عين اخرى بامتداد العين
القديمة والى الشمال منها ، بباب آخر .

الحالة الرهبانية فى القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن الحالى

يرى احد المؤرخين ان هذا الدير كان فى حالة سيئة حتى أنه لم يكن يحظى باهتمام الرحالة آنذاك ، ولكنه مع بداية القرن السابع عشر ، كان هو الوحيد الذى انفلت من الكساد العام لأديرة وادى لنطرون ، حتى انه صار اكبرها ايرادا ، واكثرها عدد رهبان .

وقد سجل الأمير عمر طوسون مساحة هذا الدير عام ١٩٣٥ بفدانين وثلاثة عشرة قيراطا أى (١٠٧٠٠ متر مربع) وذلك خلاف مساحة دير براموس (الأنبا موسى) الخرب الذى سجل مساحته بفدان ، ١٩ قيراطا ، عشرة اسهم أى ٧٦٠٠م٢ . وقد ذكر ان ممتلكاته آنذاك كانت ٢٤٤ فدان وعشرة مساكن للاستغلال .

اما عن عدد الرهبان فبعد ان وصل فى أوائل القرن الـ ١٩ الى راهبين او ثلاثة فقط فى هذه البقعة التى كانت موضع أول جماعة رهبانية فى الوادى .. اذا بالعدد يقفز فى نهاية ذلك القرن قفزة كبيرة فيصل الى ٥٥ راهبا بالدير . ولكن عاد فانخفض قليلا ، ثم زاد سنة ١٩٢٤م الى ٦٨ راهبا . وبلغ سنة ١٩٣١م ٣٧ راهبا .

ومع ذلك فقد تبوأ كرسى مارمرقس ، ثلاثة من رهبان الدير خلال هذه الفترة منهم الأنبا كيرلس الخامس ، البابا الـ (١١٢) ، الذى قضى على السدة المرقسية اكثر من نصف قرن ، وعاصر الثورات المصرية الثلاث (ثورتا عرابى ١٨٨١م ، ١٨٨٢م ، وثورة سعد زغلول ١٩١٩م) ، والبابا يؤانس التاسع عشر (الـ ١١٣) ، وهو أول مطران يعتلى السدة المرقسية !! والبابا كيرلس السادس (الـ ١١٦) ، الذى ترهب بالدير ، وقضى فترة فيه ، قبل ان يتوحد بجبل المقطم ، والذى فى عهده تجلت السيدة العذراء فوق كنيستها بالزيتون ، وبناء الكاتدرائية الكبرى بالأنبا رويس ، وعودة رفات مارمرقس . كما تخرج من الدير ، عبر التاريخ ثلاثة باباوات آخرين هم انبا خريستو دوللوس البابا الـ ٦٦ ، وهو اول من نقل الكرسى البابوى من الأسكندرية الى القاهرة . وانبا يؤانس الرابع عشر (البابا الـ ٩٦) وانبا متاؤس البابا الـ ١٠٢ .

كما عاش فى الدير بعض الوقت ، القديس انبا ابرام أسقف الفيوم ، عندما طرد من دير المحرق .

وقد برز فى هذه الحقبة بعض الآباء فى مجال التأليف مثل القمص عبد المسيح صليب المسعودى ، والأنبا

ايسيدورس اسقف الدير ، الذى رغم التجارب العديدة التى قاساها بصبر ، الا انه ظل يخدم الكنيسة القبطية بمؤلفاته الثمينة ، ومن خلال مجلة الحق ، بكل امانة واخلاص الى ان طوى خيمته الارضية سنة ١٩٤٢م عابرا ارض الشقاء والجفاء الى حيث لا محاباة او اخذ بالوجوه .. فكان الطريد الوف الأبى . والذى نرجو أن يحتل وضعه اللائق باتعابه .. ولو بعد نياحته !!

الدير فى عهد باباوية الأنبا شنودة الثالث

فى عـام ١٩٧٥م قام البابا شـنودة الثالث ، ضـمن اهتمامه بالأديرة عامة ، بالاهتمام بهذا الدير . وكان ذلك بداية الانطلاق لموجة جديدة من موجات التعمير التى شهدها الدير فى هذا القرن الحالى معماريا وأيضا رهبانيا .

فبدأ قداسـته أولا فى ذلك العام بتمهيد طريق يربط الدير بالجزء المرصوف من جهة قرية الهوكارية ، حتى يسهل بذلك نقل مواد البناء وخلافه اللازمة لتعمير الدير ، ويتمكن الراغبون فى زيارة الدير من الوصول اليه فى يسر ، بعد أن كانت تعوقهم صعوبة المواصلات المؤدية اليه من قبل . ثم زود الدير بمجموعة من الرهبان الشباب .

ومن ناحية أخرى بدأ التفكير فى التوسـع المعمارى الأفقى خارج أسوار الدير التقليدية ، وداخل زمام الدير ، وذلك نظرا لاكتظاظ الدير القديم وازدحامه بالمبانى ، وبذلك أقيم سور من الطوب الأحمر ، على مسافة معينة .. حتى يمكن تسـوية واستصلاح قطعة ارض لزرعها بالخضروات اللازمة للرهبان .

وفى عام ١٩٧٩م تم شق طريق داخلى يمر وسط هذا الامتداد العمرانى ، وصار هو الطريق الرئيسى الآن الموصل الى باب الدير الشرقى وطوله نحو كيلو متر .

المضيفة الجديدة :

وفى هذا الامتداد العمرانى الأفقى قام الدير بتأسيس دار جديدة للضيافة ، تمتـد من الغرب الى الشرق عند الزاوية الجنوبية الشرقية لسور الدير القديم ، على يسـار المتجه الى الباب الشرقى مبـاشرة ، ويبلغ طولها حـوالى ٤٥ مترا ، وتتكون من طابقين .

الطابق الأول به صالة مسـتطيلة لاستقبال الرحلات الكبيرة العدد ، مسـاحتها ١٧ × ٥,٨ متر تقريبـا وبها مصاطب ملاصقة للجدران الأربعة عرضها ٦٥سم وارتفاعها حـوالى ٦٠ سـم . ثم صـالون اسـتقبال لكبار الزوار مساحته ٦,٨ × ٨,٣ متر تقريبا . ثم قاعة اخرى مستطيلة (١٧ × ٥,٨ متر) مجهزة بالاضافة الى المصاطب الملاصقة للجدران الأربعـة ، بمائدة مسـتطيلة طولهـا ١٤,٦ متر وعرضها ١٢٢سم تقريبا ، وحولها ٥٢ كرسيا . وهى تصلح لعمل المؤتمرات الدراسية وخلافه .

أما الطابق الثانى فيشـتمل على عـدد من الغرف المجهزة لراحة ومبيت الآباء الأساقفة ، ورجال الاكليروس ، وكبار الزائرين . وقـد افتتح البابا هذه المضيفة المتعددة القاعات والأغراض عام ١٩٨١م .

بيت لخلوة :

وعلى يمين القادم الى الدير ، وعلى مسافة نحو خمسون مترا ، اقيم بيت خلوة للشباب ، على شكل مجموعة من الغرف ذات القباب ، تطل كل منها ، من الداخل على مساحة مربعة . وفى وسط هذه الغرف توجد كنيسة صغيرة على اسم انبا انطونيوس ليصلى فيها الشباب .

مشاريع أخرى :

على مسافة نحو ٨٠٠متر من الدير القديم ، تم استزراع قطعة أرض بالخضروات وأشجار الموالح والفاكهة ، بالاضافة الى قطعة اخرى من الناحية الشرقية الجنوبية أمام الدير القديم .

كما تم بناء بعض المخازن فى الناحية الجنوبية خارج السور القديم لخدمة اغراض الدير .

توفير المياه :

اما عن المياه اللازمة للرى ، فبعد أن كانت هناك ماكينة واحدة فى الدير حتى عام ١٩٧٨ ، وكانت قد بدأت تستهلك .. توالت على الدير عدة ماكينات ، صارت تغطى احتياجات الدير المختلفة من المياه الصالحة للشرب والرى، وهى :

١ ــ ماسورة ٨ بوصة وعمق ٤٩ متر تقريبا ، عليها طلمبة بمحرك غاطس قدرته ٢٥ حصان ، تم تركيبها سنة ١٩٨١م داخل الدير ، وبالقرب من الطلمبة القديمة .

٢ ــ خارج الدير القديم ، وامام بيت الخلوة من الناحية الشمالية الشرقية ، توجد ماسورة ٦ بوصة بعمق ٤٠ متر تقريبا وعليها طلمبة بمحرك غاطس قدرته ٢ حصان .

٣ ــ على مسافة نحو ٦٠٠ متر من الدير القديم فى الناحية الشرقية ، حيث تم انشاء مساكن لعمال الدير ، توجد بالقرب منها ماسورة قطرها ٦ بوصة وبعمق ٣٠ متر، وعليها ماكينة ديزل قدرتها ١٦ حصان .

٤ ــ وفى المزرعة الشرقية الشمالية التى على مسافة ٨٠٠ متر تقريبا من الدير القديم ، توجد بها ماسورتين قطر كل منهما ٨ بوصة وعلى عمق ٤٠ متر ومركب عليها محرك ديزل قدرته ٢٦ حصان .

٥ ــ بالاضافة الى ماسورة اخرى قطرها ٦ بوصة ، ومركب عليها طلمبة ذات قدرة صغيرة لخدمة الصهريج الجديد المجاور لحظيرة دواجن خاصة بالدير .

٦ ــ وخلف بيت الخلوة ، تم دق ماسورة جديدة

عام ١٩٨٤ قطرها ١٠ بوصة وعمقها ٥٠ متر ، ومركب عليها ماكينة ديزل قدرتها ٦٥ حصان .

ماكينات الكهرباء :

وفى عام ١٩٧٨ تم الاستغناء كلية فيما يختص بالانارة، عن ماكينة الدير التى كانت تولد الكهرباء بتيار ١١٠ فولت بالاضافة الى جلب المياه . حيث تم تزويد الدير فى تلك السنة بماكينة لتوليد الكهرباء بتيار ٢٢٠ فولت ، وتم استخدامها آنذاك على نطاق محدود ، وكانت تدار باليد .

ولكن مع بداية عام ١٩٧٩ ، تم استبدالها بأخرى آلية، قوة ٤٠ كيلو وات ساعة . وبذلك امكن للدير ان يمد شبكة من الخطوط الكهربائية الى داخل قلالى ومخازن وطرقات الدير ، بل والطريق العام ، على مسافة نحو كيلو متر ، داخل الامتداد الأفقى ، فضلا عن كنائس الدير ومناريته . ومنذ ذلك التاريخ ، توالت على الدير عدة ماكينات للكهرباء وهى :

١ ــ ماكينة فولفو ٦سلندر قوة ١٢٠ كيلووات/ساعة. قام الدير بشرائها ، وتبرع بجزء من ثمنها بعض الأراخنة .

٢ ــ ماكينة بركنز انجليزية الصنع قوة ٤٠ كيلو وات / ساعة . هدية من بعض المحبين بالخارج للدير سنة ١٩٨١ .

٣ ــ عدد ٢ ماكينة صغيرة قابلة للحمل ، قوة اولهما ٣,٥ كيلو وات / ساعة (هوندا) والثانية ٣ كيلو وات/ ساعة (ايطالية) .

٤ ــ وفى أبريل سنة ١٩٨٤ تم شراء ماكينة أخرى فولفو ٧٥ كيلو وات/ساعة .

القلالى :

اما عن قلالى الرهبان ، فنظرا للزيادة المطردة فى عدد الراغبين فى الرهبنة بالدير ، ونظرا للاختناق الشديد داخل الدير القديم ، حتى صار هناك ازمة سكن . شرع الدير فى اقامة مجموعة جديدة من القلالى على الطراز الحديث ، داخل زمام الدير ، وتتكون هذه المجموعة من طابقين ، كل منهما يحتوى على مجموعة من القلالى ، وكل قلاية تتكون من غرفتين ومنافعهما .

محطة الغاز :

ونظرا لاحتياج الدير الى الوقود السائل باستمرار لخدمة ماكينات الدير العديدة . فقد قام الدير بتركيب **عدد ٢** خزان كبير الحجم لغازى السولار والكيروسين على مسافة نحو ٦٠٠ متر من الدير على يمين الطريق مباشرة للقادم الى الدير .

عدد الرهبان :

رأينا ان عدد الرهبان بالدير كان فى أواخر النصف الأول من القرن الحالى نحو ٣٧ راهبا ، وقد تذبذب هذا العدد صعودا وهبوطا حتى بلغ فى أوائل السبعينات نحو ستين راهبا ، انضم اليهم فى الفترة من ١٩٧٥ حتى ١٩٨٤ نحو ٣٧ راهبا جديدا . ويقدر عدد الرهبان المقيمين حاليا بالدير نحو خمسين راهبا بخلاف رهبان الدير المكلفين بالخدمة خارجه .

ثالثا ـ قديسو الدير

١ ـ الأنبا ايسيذورس

الأنبا ايسيذورس القس هو أصلا أحد متوحدى نتريا ، وكان كاهنا لمنطقة القلالى . وكان من أوائل النازحين مع الأنبا مقار الى منطقة شيهيت ، وهناك عينه كاهنا لتلك المنطقة ، حتى ان الكنيسة التى بناها القديس مقار هناك ، وكانت أول كنيسة فى وادى النطرون كله ، صارت تدعى فى بعض الكتب الرهبانية القديمة ، وحتى فى كتابات أوائل القرن الخامس ، باسم « كنيسة الأنبا ايسيذورس » .

وصفه القديس روفينوس أنه من كبار آباء نتريا ، وذكر جيروم أنه كان أحد أعضاء المجمع الأعلى للحكم . ويرى البعض أنه قد نزح مع القديس مقار أيضا من منطقة برموس الى جنوب الوادى حوالى سنة ٣٧٣م ، وخلفه الأنبا بفنوتيوس .

لا نعلم عن تاريخ حياته الا القليل ، ولكنه كان يتسم بالبساطة الشديدة ، والمنهج الروحى فى الادارة . كان طويل الأناة جدا ، وخصوصا على الضعفاء وصغيرى النفوس ، وكان فعلا مشجعا لهم ، رفيقا للمرضى ، يعتنى بهم بنفسه ، كما نلحظ ذلك فى قصة الأنبا موسى الأسود .

قيل عنه فى البستان أن (كل من كان عنده أخ صغير

النفس او شتاما او عليلا ويطرده [ذلك الاب او الشيخ] من عنده ، كان القس ايسذورس ياخذه الى عنده ، ويطيل روحه عليه ، ويخلص نفسـه .) . وكان هو نفسه يتردد كثيرا فى طرد احد من الدير ، وهو احد رؤساء المجلس الاعلى للحكم ، كما ذكرنا آنفا !! .

.. كاب اعتراف :

كان الانبا ايسذورس كاب اعتراف ، مثالا ونموذجا فى التدبير الروحى ، والصبر الطويل ، فى سبيل تخليص النفوس وقيادتها روحيا ، ففى ليلة واحدة زاره الانبا موسى الاسود ، احدى عشرة مرة ، من قلايته التى كانت عند الصخرة (البترا) الى قلاية الانبا ايسذورس التى كانت بالقرب من الكنيسة . ولكى نفهم مغزى هذه الحادثة ، علينا أن نتذكر ان المسافة المفترضة بين هذين الموقعين تبلغ نحو اربعة كيلو مترات على الأقل ، يستغرق السائر على الأقدام سيرا معتدلا نحو ساعتين ذهابا ومثلهما ايابا . وبالتالى يكون الانبا موسى فى هذه الحادثة قد قضى الليلة كله ، ذهابا وايابا، مهرولا ؛ ويكون الانبا ايسيذورس قد قضى هو ايضا تلك الليلة ساهرا مستيقظا ، بدون ضيق او تبرم او ملل ، من اجل الاخذ بيد ابنه الروحى وخلاص نفسـه . ترى كم من اب اعتراف مستعد اليوم ان يكون بهذه الروح والأناة ؟ !!. لا ننكر انه فى ايامنا هذه كان هناك آباء اعتراف نموذجيين ،

اقتدوا فى سلوكهم فى هذا الصدد بنموذج انبا ايسيذورس ، حتى ان سيرتهم ما زالت حية ، رغم انتقالتهم الى الأمجاد السماوية ، ولكنهم كانوا لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة .

ويذكر البستان حادثة أخرى ، تظهر لنا دور الأب الروحى الساهر على خلاص نفوس اولاده ، والذى لا ينتظر ان يأتوا اليه ليعترفوا بتجاربهم .. بل هو مستعد ان يدخل فى صراع ضد الشياطين من أجل ان يخلص من فكى الوحش وحيدته . واليك هذه الحادثة :

كان قسيس القلالى قد اعطى نعمة من الله ان ينظر الأرواح النجسة عيانا ، وكانوا يخافون منه ، وذات يوم بينما كان ذاهبا الى الكنيسة الجامعة ، اذا به يرى جماعة من الشياطين ، واقفون خارج قلاية (مسكن) أحد الرهبان ، بعضهم فى شكل نساء يرقصون ويغنون غناء خليعا ، والبعض الاخر فى شكل صغار يرقصون ، والبعض الثالث فى اشكال رديئة . فتنهد الشيخ قائلا « بلا شك انه يوجد فى داخل هذه القلاية ، راهب فى اتون نار ، بسبب هذه الأرواح النجسة المحيطة بقلايته » . وصلى الأب ، طالبا معونة الرب، وبعد انتهاء الصلوات الكنسية ، عاد وقرع على باب قلاية ذلك الراهب ، الذى فتح له مسرعا وفرحا بزيارته له . ولما صليا معا ، وجلسا ، بدأ الشيخ يقول له « أيها الأخ ،

اتيت اليك اليوم لعلى أجـد عندك راحة ، لأن القلاية التى انا مقيم فيها ، قد امتلأت شياطين ، وقد اغتصبوها منى ، لأنهم وجدوا راحتهم داخلها ، لأنى كل يوم فى طاعتهم ، صانعا لهم ما يريدونه ، ولمـا كان هذا النهار ، لم استطع أن ابقى معهم بسبب سوء عملى ، فانا اسالك ايها الأخ الحبيب من اجل المسيح ان تصلى عنى كل يوم صلاة ، لعلى أجد راحة ، فقد أوشك الرجاء ان ينقطع منى » .

فلما سمع ذلك الراهب هذا الكلام اندهش جدا وأخذ ينوح قائلا « أيها الشيخ ، انت مصباح البرية وضياؤها ، وتقول لى هذا الكلام ؟ : آه ، لو علمت ما انا فيه » وهم بأن يخبر الشيخ بحاله ، فرجاه الشيخ بسرعة الا يذكر قدامه شيئا ، لأن الكلام الردىء يخفض القلوب المستقيمة ، وينجس الأسماع . فكف الراهب عن الكلام ، ولمـا انصرف الشيخ من عنده ، قام ليصلى عنه ، فبدأ يقول لنفسه « أيها الشقى ، انت قائم لتصلى » !! وانسابت الدموع ، وبدأ ينوح ويسجد ، واستمر على هذا الحال مدة اسبوع .

وفى السبت التالى ، عندما مر الشيخ على قلاية ذلك الراهب ، وهو فى طريقه الى الكنيسة ، اذا به يرى أولئك الشياطين وقوفا على بابها ، بيد انهم غير قادرين على دخولها ، ويهمون بهدم سورها ، فعلم القس أن الأخ قد نجح فى الصلاة ، ففرح وقرع باب القلاية ، فخرج الراهب لاستقباله

وقد لبسته نعمة . وجلس امام الشيخ فى اسى وندم ، وسأله « اترى يا أبى ، هل اعود فأحسب من الرهبان ، طيب النفس فرحان القلب .. ؟ ويلاه ، متى يعود فيبنى ما قد انهدم ؟ ! ما ابعد الطريق على . وبعد ان عزاه الشيخ قليلا ، انصرف من عنده ، ممجدا الله الذى يقبل الخاطىء اذا رجع بتوبة نقية ، ويعتبره أفضل من الذى قضى عمره كله فى مرضاته .

ومضى اسبوع آخر .. وعندما مر القس على قلاية هذا الراهب ، وثبت عليه الشياطين الذين كانوا قائمين أمام قلاية الراهب لمحاربته ، ومزقوا ثياب القس ، وهم يصرخون فيه قائلين « أما يكفيك أن قلايتك لا نستطيع العبور عليها ، حتى ولا على جيرانك ، واخ واحد لنا فى هذه الجملة ، جعلته عدوا عظيما يتعدى علينا النهار كله والليل ، وقد احرقنا شرار صلاته » . ولما تركوه هكذا ، قرع الباب ، ففتح الراهب ووجده متعبا ولما رآه فى هذه الحالة سأله عن السبب ، فبدأ يروى له كل ما حدث منذ أول عبور له على قلايته الى تلك الساعة . فلما علم الراهب بحقيقة الحال ، شكر الرب الذى أفتقده على يد القس ، وبدأ يعاود جهاده القانونى من جديد .

هذا هو الأنبا ايسيذورس القس .. اب الاعتراف ، الأب الروحى الساهر على خلاص نفوس أولاده .

كان الأنبا ايسيذورس القس ، قويا فى دفاعه عن الايمان وعقائد الكنيسة ، كما كان حارا فى تدبيره الرهبانى . لم يحفظ نقاوة الايمان لنفسه ويتمسك به ، بل استخدم ماله من رصيد محبة الآخرين ، فى حثهم على التمسك بالايمان . ويذكر البعض عنه انه نفى مع آخرين ، فى فترة من الفترات ، على يد الوالى (لوس) الذى ادعى الأسقفية ، وذلك دفاعا عن عقيدة وحدة الجوهر .

وتذكر بعض المخطوطات أنه هو الذى أرسل ردا على طلب الملك ثيئودوسيوس بن اركاديوس الصلاة من أجل ان يهبه الله ولدا ، ارسل يخبره ان الله لم يشأ أن يخرج منه ولدا ، حتى لا يشارك ارباب البدع من بعده .

عجيبة حقا سيرة هذا الانسان الذى لا نعرف عنه الكثير ، ولكن تظهر عظمته الروحية ، مستترة فى قصة تلميذه الانبا موسى الأسود . أيا كان الأمر فان الأنبا ايسيذورس درس يتكلم عبر الأجيال ، وحديث خاص موجه الى آباء الاعتراف ، ومنهج للقيادة الروحية . الذى يعرف كيف يفتق الوزنات التى وهبها الله لأولاده فى الاعتراف ، لا ان يحاول ان يجعل من أولاد الله ، صورا كربونية مهزوزة لشخصيته الخاصة ، او ان يضفى عليهم ظلاله وميوله ومشاربه واتجاهاته الذاتية ، تحت ستار أبوته لهم وخوفه عليهم ..!!

وان كانت صفات البساطة وطول الاناة والشفقة على

صغار النفوس هى المعروفة عنه ، فاننى ارى ان انكار الذات والاختفاء فى شخص السيد المسيح كانت أيضا صفة اساسية فى حياته .

ومن القصص المتواترة عن تواضعه ، انه متى ارادت الشياطين ان تحاربه بفكر الكبرياء ، كان يرد عليهم بتذلل ، واضعا نصب عينيه قادة الرهبنة السابقين عليه .. واذا ارادوا ان يوقعوه فى اليأس ، كان يتمسك بمراحم الله اللانهائية ، متذكرا ان هلاك يهوذا كان نتيجة ليأسه ، لا لعدم الرحمة الالهية الغافرة . وكان فى كل ذلك يشير الى ضرورة عدم انتخار المرء بتاتا بنفسه وقدراته فى مجال النمو الروحى ، وعدم الثقة المفرطة بالنفس ، التى تؤدى حتما الى السقوط مع شياطين الشره ، كما يقول .

وعندما سئل مرة عن سبب فزع الشياطين منه ، اجاب بأنه منذ صار راهبا ، لم يدع الغضب (ضد انسان) يجوز حلقه الى فوق (لاحظ هنا الجهاد الروحى ضد اهواء الجسد .. الطبيعة البشرية تتحرك فى داخله ، ولكنه يضبطها ، فلا تخرج على لسانه ، او فى سلوكه) . لقد كان يركز تفكيره دائما فى افضلية جميع الناس عليه . بالطبع بهذا الاتضاع الحقيقى ، لا الصورى المظهرى ، كانت تهرب الشياطين من امامه ، لأنه كما يقول الآباء ، لا شئ يحرقهم مثل شكل انسان متضع .

وكان الأنبا ايسيذورس رغم شيخوخته ، ورغم كونه
احد اعضاء المجلس الأعلى للحكم فى شيهيت ، كان يقدر
العمل اليدوى ، فكان يجدل فى كل ليلة حزمة خوص ، حتى
أن البعض اراده ان يكف عن هذا التعب فابى . وقد كان
ضفر هذا المقدار ، عملا كبيرا آنذاك ومرهق للشيوخ . اما
هو فكان يعتبر الجهاد والتعب لذة للنفس .

غير معلوم زمن نياحته بالضبط البعض يرجح انه توفى
قبل سنة ٤٠٧م ، على اية حال ينبغى التفرقة بينه وبين الأنبا
ايسيذورس صاحب بيت الضيافة الشهير ، والذى كانت له
ميول أوريجانية . وبينه وبين الأنبا ايسيذورس العالم
الناسك الذى عاش فى القرن الخامس وتنيح سنة ٤٥٠م ،
وترك مؤلفات وراءه . وبينه وبين الأنبا ايسيذورس المعترف
أسقف دمنهور . حيث يخلط بعض الكتاب بين الأنبا
ايسيذورس قس شيهيت وبين هؤلاء الآخرين .

٢ ـ الأنبا موسى الأسود

« ترى ، هل فى وسع من انحدروا الى أحط دركات
الشر والأثم ، أن يتغيروا ويصيروا فضلاء صالحين ؟ !!

هل يقدر من قضى حياته مؤثرا نفسه ، متمركزا حول
ذاته ، أن يتغير فى سن الثلاثين أو أكثر ، فيغدو محبا باذلا
مضحيا مؤثرا غيره على نفسه ؟ !!

هل من الممكن ان ينقلب الانسان القاسى العنيد ،
فيصير حملا وديعا ، شفوقا ، لطيفا ؟ !

هل من الممكن لمن عاش زمانه بين كؤوس خمر الدعارة
ان يصير عفيفا طاهرا قديسا ؟ ! .

هل من الممكن لمن كانت اهدافه وغاياته كلها فى
الأرضيات والترابيات ، وما شابهها وتدور حولها .. يمكن
ان تتغير فتصير فى السماوايات .

هل من الممكن أن تتغير يارب كل مسالكى الشريرة
تغييرا كاملا ؟ ! .. هل من الممكن لى أن اتوب ؟ ..

نعم يا عزيزى .. فالغير مستطاع لدى الناس ،
مستطاع لدى الله .. الله الذى خلق الطبيعة البشرية قادر
ان يغيرها ويجددها ويصلحها ويصيرها عروسا بلا غضن ..
ويمنحها قوة ، لكى تبلغ اسمى الدركات . وهو مستعد أن
يعمل الآن .. وفيك .. مثلما عمل فى الكثيرين من قبلك ،
مثل المجدلية والسامرية وشاول الطرسوسى ، وبيلاجيا
التائبة ومريم المصرية ، والقديس الأنبا موسى الأسود الذى
يعتبر من أحلى وأعذب نماذج التوبة .

تعتبر سيرة الأنبا موسى الأسود ، ابرز ثمرة فى المجال
الرهبانى ، من ثمار تعب وتدبير الأنبا ايسيذورس القس .

وهو واحد من رجال القرن الرابع العظام الذين انجبتهم برية شيهيت .

عاش موسى فى مستهل حياته عبدا لأحد الأثرياء ، ثم آبق منه . واذ وجد نفسه حرا فى عرض الطريق ، شكل عصابة لقطع الطرق ، وصار رئيسا خطيرا فى مجال الشر والجريمة ، حتى غدا رعبا لكل انسان ، واطلق عليه لقب « رعب المنطقة » . وعاش ردحا من الزمان معتمدا على ذراعه وقوته وجبروته ، لا سيما وانه كان يتمتع بقوة جسمانية ضخمة تثير الرعب فى النفوس والذعر فى القلوب حتى من مجرد النظر الى شكله .

وقد بلغت به القسوة فى حياته الشريرة ، انه لم يشفق على راعى غنم ، لمجرد أن كلابه نبحت وراءه ذات مرة ، فذبح أربعة من اكبر نعاجه ، أكل منها ما اكل ، وباع الباقى ، واشترى به خمرا له ولرفاقه !!

كان يعبد الشمس ، التى كانت من بقايا العبادات المصرية الوثنية ، فى ذلك الحين ، وتعود ان يناجيها كل يوم ، ويسألها أن تعرفه ما اذا كانت هى الاله الحقيقى ام لا ..

ولكن موسى ، رغم سواد حياته الشريرة كخيام قيدار ، كان يحمل بين جنباته ، كمخلوق على صورة الله ومثاله ، قلبا به مذبح لاله مجهول ، كما يقول بولس الرسول . كان

فى قلبه فتيلة مدخنة ، تنتظر ان تنفخ فيها النعمة الالهية ، لتؤجج حياته ، وتلهبها بنار الحب الالهى .

ذات يوم ، وبينما هو يخاطب الشمس كعادته ، اذا باشتياق حقيقى يثور فى داخله لمعرفة هذا الاله الحقيقى الذى لا يعرفه . فصرخ هاتفا اليه « أيها الاله الحقيقى الذى لا اعرفك ، عرفنى ذاتك » .. والتقطت السماء هذه الصرخة النابعة من أعماق قلبه ، وارسلت له الرد فورا ، الذى وصله على لسان احد الرعاة ، مشيرا اليه ، ان يذهب الى برية شيهيت (وادى النطرون) ، وهناك يعرفه الرهبان بهذا الاله الحقيقى .

واذ سمع هذا الصوت ، لم يتوان ، ولم يتردد ، ولم يؤجل عمل التوبة الى الغد ، بل قام وجاء الى البرية ، وان كان قد اتى بعاداته القديمة ، شاهرا سيفه ، وعندما رآه الرهبان لأول مرة خافوا وهربوا من وجهه . وهناك تقابل مع الأنبا ايسيذورس القس ، الذى استقبله ببشاشة ومحبة، وعندما لمس فيه صدق نيته ، قبله ووعظه وعلمه مبادىء الايمان المسيحى .

وعندما تحقق الأنبا ايسيذورس من صدق نيته وعمق توبته واشتياقه لنوال سر العماد المقدس ، اخذه الى القديس أنبا مقار ، فى موضعه الجديد جنوب الوادى ، وعرفه عليه. وهناك وقف موسى ليعترف بكل عيوبه وجرائم حياته

الماضية ، علنا امام مجمع الآباء والشيوخ وفى حضور القديس مقار الكبير نفسه ، وذلك استعدادا لنوال سر الميلاد الثانى.

وبينما هو يعترف فى صدق واتضاع حقيقى ، وخشوع ومذلة ، ودموع غزيرة ، راى القديس مقار ملاكا ممسكا بلوح عليه كتابة سوداء ، وكلما اعترف موسى بخطية قديمة ، مسحها الملاك ، حتى انتهى موسى من الاعتراف ، فاذا باللوح كله قد صار ابيضا . الم يقل الكتاب « ان اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل ، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم » (١ يو ١ : ١٠) وأيضا « هلم نتحاجج يقول الرب ان كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج . ان كانت حمراء كالدودى تصير كالصوف » (اش ١ : ١٨) .

وبعد ان نال موسى المعمودية المقدسة ، اتجه الى مغارة مكسيموس ودوماريوس وعاش فيها فى نسك وجهاد روحى طويل ضد الشيطان والعالم واهواء الجسد ، تحت الاشراف الروحى للأنبا ايسيذورس القس .

ونما موسى فى حياة البر والتقوى ، وغدا قويا فى روحانياته ، مما أدى الى التفاف الكثيرين من حوله ، لينهلوا من هذا النبع الروحانى ، ويسترشدوا بتعاليمه ، ويستظلوا بظله ، حتى بلغ عددهم كما قيل نحو خمسمائة راهب يتتلمذوا على يديه . كما صارا أحد اعلام البرية العظام ،



لا يستطيع زائر أن يفد الى البرية ويعود منها دون المرور على مغارة ذلك اللص اللطيف وقاطع الطريق الحلو ، موسى الأسود .

وفى الغارة الأولى من غارات البربر على برية شيهيت ، سنة ٤٠٧م . كان موسى اول من نال اكليل الشهادة ، بين جميع رهبان وادى النطرون . واستشهد معه سبعة اشخاص قيل انهم كانوا هم ايضا من رفقائه القدامى فى حياة الشر والجريمة ، الذين تابوا بتوبته ، وعاشوا معه ، واستشهدوا معه . وتعيد له الكنيسة القبطية بذكرى استشهاده فى ٢٤ بؤونة الذى يوافق اوائل يوليو من كل عام .

هكذا كان موسى غنمة من الغنيمات التى تاهت ، ثم رجعت الى الرب . وعندما جذبته النعمة الالهية ، أخذ يركض فى درب التوبة والحياة الروحية ، وتحول ليس من خاطىء الى تائب فحسب ، بل الى قديس واب روحى مختبر ومرشد لكثيرين . واذا بهذا اللص القاتل قاطع الطريق ، يصير موسى الطيب الوديع ، المضياف ، طويل الأناة ، كثير الاحتمال المتشبه بالله فى شفقته على الخطاة .

ولعل من أشهر القصص التى تظهر مدى شفقته على الخطاة ، هذه الحادثة . قيل أن أخا فى الأسقيط أخطأ يوما، فانعقد بسببه مجمع من الآباء لادانته ، وارسلوا فى طلب أنبا موسى ليحضر ، فأبى وامتنع عن الحضور ، فأتاه قس المنطقة

وقال « ان الآباء كلهم ينتظرونك » فقام واخذ كيسا مثقوبا وملأه رملا وحمله وراء ظهره ، وجاء به الى المجلس . فلما رآه الآباء هكذا قالوا له ما هـذا ايها الآب ؟ ! فقال « هذه خطاياى وراء ظهرى تجرى دون ان ابصرها ، وقـد جئت اليوم لادانة غيرى على خطاياه » . فلما سمعوا ذلك ، غفروا للأخ ولم يحزنوه فى شىء .

ان موسى بنموذج حياته ، شمعة تضىء لنا فى جنبات ظلمة حياتنا الروحية . نهتدى بها فى طريق التوبة والجهاد الروحى ، ومرآة تعكس لنا مدى حب الله اللانهائى لجميع الناس أشرارا وأبرارا ، خطاة وقديسين .

أما عن لقبه بالأسود ، فذلك نظرا لسواد لونه فقط ، فلم يكن موسى حبشيا أو نوبيا ، كما يرى الكثيرون ، وكما يتضح ذلك فى البستان ، حيث قيل عنه ، فى معرض المقارنة بينه وبين الأنبا أرسانيوس (اليونانى والمصرى) . وانما على العكس ، يعود لقبه « الحبشى » فى بعض الكتابات الرهبانية القديمة ، الى سواد لونه ، حيث كان يطلق على كل من هو أسود اللون ، « حبشى » كما هى العادة فى الشرق . [راجع كتاب أنبا موسى القوى والشهيد ـ للناشر ابناء الأنبا موسى الأسود ، لمعرفة سيرة حياته بالتفصيل] .

٣ ـ الأنبا أرسانيوس معلم أولاد الملوك

يرى البعض انه كان ايطالى الجنس ، وهو على ما يظن من مواليد سنة ٣٥٤م . وكان ضليعا فى الأدب والفلسفة اليونانية ، ومن اشهر فلاسفة عصره . ومن ثم كلفه الامبراطور ثيئودوسيوس الكبير ، بتزكية من الأسقف جراتيان اسقف باريس ، بتهذيب ولديه أركاديوس وانوريوس .

وعاش هناك فى البلاط الامبراطورى مقدما دائما ، ومقربا الى الامبراطور الذى كان يحبه ويجلس لفيض معرفته . وكان له امر نافذ ، وعبيد كثيرون يقومون بخدمته .

وظل هناك حتى بلغ الأربعين من عمره ، فزهدت نفسه كل شىء ، وعزف عن العالم وأمجاده ، فلجأ الى برية شيهيت حوالى سنة ٣٩٤م تقريبا . فبلغها بعد نياحة الأنبا مقار بأيام قليلة ، كما يرى البعض ، فاستقبله الأنبا بفتوتيوس الذى سلمه بدوره الى الأنبا يوحنا القصير ليدبر خلاصه .

وهناك فى الأسقيط بدأ القديس أرسانيوس حياته الرهبانية بنسك عظيم وزهد شديد . فقد قيل عنه انه كان يقضى الليل كله ساهرا . وفى ليلة الأحد كان يخرج خارج مغارته ويقف تحت السماء ويجعل الشمس خلفه ويبسط

يديه للصلاة حتى تسطع الشمس فى وجهه مرة أخرى ، فيجلس . لهذا يرسمه الفنان القبطى واقفا يصلى وأمامه قرص الشمس فى بداية ظهوره اشارة الى استمرار الصلاة طول الليل . كما هو ظاهر فى صورته المرسومة فى شرقية الهيكل الذى باسمه فى كنيسة ماريوحنا المعمدان بدير سيدة براموس ، (الهيكل الجنوبى) . وقد عرف فى الأدب الرهبانى بانه رجل الصمت والدموع ، فقد سكن فى مغارة ، قيل انها تبعد نحو ٣٢ ميل من الكنيسة ، عاش فيها حياة توحد وصمت ، وكان يقضى وقته فى الصلاة وعمل اليدين (صنع السلال من الخوص) ، وفى تجرد كامل من كل قنية .
لا يلتقى بالناس جملة ، لأنه كان مبغضا للسبح الباطل وكان يرتدى ثوبا من الشعر تعبيرا عن حياة الاماتة المستمرة ، وقد أهدى هذا الثوب ، عند موته ، الى تلميذه دانيال .
وقد قيل عنه انه حين كان فى العالم ، كان رداؤه انعم من أى انسان آخر ، وحين عاش فى الأسقيط (برية شيهيت) كان رداؤه أحقر من الجميع . وضعفت صحته ومرض ، واضطر القس الى حمله الى الكنيسة ، لتمريضه فيها مدة طويلة .

واعتاد الأنبا ارسانيوس عندما يأتى الى الكنيسة ، أن يقف وراء عامود حتى لا يرى أحد وجهه ولا يرى هو وجوه الآخرين . لذلك من كثرة وقوفه خلف هذا العامود ، عرف عبر التاريخ ، بعمود الأنبا ارسانيوس وهو العمود

السابق الاشارة اليه فى معالم لكنيسة الأثرية بدير سيدة براموس .

وقد تنقل الأنبا ارسانيوس ، خلال فترة حياته الرهبانية من مكان الى آخر . فعقب الغارة الثانية للبربر سنة ٤٣٤م ، على وادى النطرون وتشتت الرهبان ، انتقل الى منطقة طرة ، بجبل المقطم ، وأقام بها عشر سنوات ، فى دير شهران ، أمام منفيس (منية رهينة حاليا) ، ثم رحل بعدها عن طريق النيل ، وسافر الى الأسكندرية ، حيث عاش فى منطقة (كانوبى) بجوار ابى قير ، وأقام فى دير للطبانسيين (الباخوميين) مدة ثلاث سنوات ، وهناك حدثت له القصة الشهيرة عن زيارة احدى بنات رؤساء البلاط فى روما له ، وكانت غنية جدا ، فالتمست توصية البابا ثيوفيلس ، للسماح لها برؤيته ، الذى كتب اليه فعلا بطلب منه الموافقة ، كما كتب الى المسئول عن الأديرة هناك ليسهل لها مأموريتها . ولكن الأنبا ارسانيوس رفض حضورها . اما هى فأصرت وتوجهت الى هناك ، وتصادف ان وصلت فى وقت خروجه من قلايته ، فلما وقع بصره عليها غضب ، واذ سألته أن يصلى من أجلها ، أجابها انه سيصلى الى الله أن يمحوا اسمها وخيالها وفكرها من قلبه . وخافت الفتاة وارتعدت وعادت محمومة الى قداسة البابا ، الذى شرح لها السبب وعزاها وطيب خاطرها وافهمها انه فى

صلاته يذكر خلاص نفوس الجميع ، لكن الشيطان يحارب الرهبان بصور النساء وعن هذا قال انه سيصلى الى الله كى لا يستخدم الشيطان صورتك وسيلة فى حربه معه . فطاب قلبها وعادت الى بلادها متعزية .

ثم عاد الى طرة سنة ٤٤٧م مرة أخرى وظل هناك سنتين مريضا ، تنيح بعدها حوالى سنة ٤٤٩م فدفنوه بذلك الدير. ويذكر المؤرخ الأرمنى انه اقيم دير فى موضع جسده الموجود تحت مذبح الكنيسة الرئيسية هناك .

٤ — مكسيموس ودوماديوس

فيما يتعلق بهذين الشابين الرومانيين ، تثور بشأنهما تساؤلات معينة ، عند بعض الدارسين المؤرخين ، لا مجال للخوض فيها هنا . اما سيرة حياتهما فهى مستقاة اساسا من سيرة الأنبا مقار الكبير ، حيث ترد سيرتهما ضمن أخبار القديس ، وباسم (شابين غريبين) . وكانت المرة الأولى التى يظهر فيها اسماؤهما ، هى فى مخطوطة عن حياتهما ، منسوبة الى راهب من رجال القرن الرابع يدعى بيشوى ، حيث يذكر أسميهما بوضوح مكسيموس ودوماديوس . وغير معلوم على وجه التحقيق تاريخ هذه المخطوطة ، ولا من يكون الراهب بيشوى هذا .

ايا كان الأمر فالتقليد الرهبانى للكنيسة القبطية ينسب اسم براموس الى هذين القديسين ، كما رأينا فيما سبق.

وحسبما يروى التقليد ، فان هذين الشابين ، كانا اميرين رومانيين (يونانيين) وشقيقين . ابوهما هو الملك فالنتين الأول (٣٦٣ — ٣٧٥م) . تاقا الى حياة الرهبنة ، فتركا بلدهما واتجها أولا الى سوريا حيث التصقا بالأنبا اغابيوس نحو ست سنوات ، وعقب نياحته قررا التوجه الى برية شيهيت للتتلمذ على يدى انبا مقار .

وبمعونة الهية خاصة ، وصلا الى منطقة البهلس ، عند الصخرة المعروفة الآن بـ (قارة أولاد الملوك) ، وهى تقع على بعد نحو ٤ كم من الجهة الشرقية للدير الحالى . وهناك استعلما عن القديس انبا مقار . ولما قابلهما طلبا منه أن يرهبنهما . ولكن القديس مقار ، عندما رأى علامات الترف البادية عليهما ، وصغر سنهما ، اذ كان مكسيموس الأخ الأكبر لا يتجاوز عمره الخامسة والعشرين ، أما دوماديوس فلم يكن يتجاوز العشرين ، أشفق عليهما من صعوبة الحياة فى البرية .

واذ وجد منهما اصرارا ، أشار عليهما بأن يمضيا ويحفرا لنفسيهما مغارة فى الصخرة (قارة أولاد الملوك) ويمكثا فيها . ثم عرفهما بعمل اليدين وصنع السلال ، وآراهما بداية عمل الضفيرة من الخوص ، وصرفهما بسلام.

وفعلا مضى الشابان الى حيث أشار عليهما الأنبا مقار، وحفرا لنفسيهما مغارة . وهناك مكثا نحو ثلاث سنوات ، لا يخرجان منها ، الا يوم الأحد ، حيث يحضران القداس ويتناولان من السرائر الالهية وهما صامتين ، ثم يرجعان الى المغارة فورا ، دون أن يحاولا الكلام أو السير مع أحد .

واذ اندهش الأنبا مقار من سيرتهما هذه ، واراد أن يعرف أحوالهما ، صلى وصام أسبوعا كاملا – كما تروى مخطوطته – ليعلن الله له أمرهما . وبعد أسبوع ، مضى اليهما ليفتقدهما ، ووجدهما يعملان عمل اليدين فى صمت، الى أن حانت الساعة الثالثة بعد الظهر ، فأومأ الأخ الأكبر الى أخيه الشاب ، الذى قام وأعد مائدة عليها ثلاث خبزات جافة ، وداما صامتين . فقام الأنبا مقار ، وصلى على المائدة ، وبارك ، ثم جلسوا ليأكلوا فى صمت . ولما حان المساء سألاه عما اذا كان سينصرف ام سيبيت معهما . واذ أجابهما بأنه سيبيت . أعدا له حصيرة فرشاها له فى ركن من المغارة ، ثم فرشا لنفسيهما حصيرة أخرى ، ورقدا .

ثم يروى أنبا مقار قائلا انه فى نصف الليل ، اذا بضوء كضوء النهار ، يظهر قدامه فى القلاية، واذ ظن الأخ الأكبر ان أنبا مقار يغط فى نومه، قام ونخس أخاه وأقامه ، وفى الحال انتصبا ليصليا . واذا به يرى ملاكا حاملا سيفا ناريا يطرد عن الأخ الأصغر الشياطين ، التى كانت تحوم حوله

مثل الذباب ، اما الأخ الأكبر فكان كلما يردد قطعا من المزمور يبرز من فمه شهاب نار يصعد الى السماء . وظلا هكذا حتى حان الفجر ، وللوقت طرحا نفسيهما على الأرض وناما .

فتظاهر انبا مقار كأنه يستيقظ ، وفعلا هما كذلك .

ثم سأل الكبير انبا مقار ان يصلى معهما صلاة باكر فوقف يصلى معهما . ولما انقضت الصلاة ودعهما وانصرف ، متعزيا وممجدا الله .

وبعد أيام قليلة تنيح الأخ الأكبر . وفى ثالث يوم من نياحته لحقه الأخ الأصغر . لهذا تعيد الكنيسة بتذكار نياحتهما يومى ١٤ ، ١٧ طوبة من كل عام .

كما تروى المخطوطة ، كان القديس مقار ، كلما اتى اليه ضيف يأخذه الى قلايتهما قائلا هلم لنعاين مكان شهادة الغرباء الصغار .

ويروى التقليد انه بعد نياحتهما ، بنوا على قلايتهما، كنيسة صغيرة عرفت باسم كنيسة مكسيموس ودوماريوس. وكانت قلايتهما القريبة من الدير نواة لسكنى بعض التلاميذ فيها ، فعرفت باسم براموس ، الى أن سكن فيها موسى الأسود وتلاميذه بعد ذلك ، فتداخل الأسمان وكانا مترادفين لنفس المكان . وظلت هذه الكنيسة ، حسبما يروى التاريخ،

الى ان اندثرت فى أواخر القرن الخامس عشر . وكانت
اطلالها قائمة الى حوالى القرن التاسع عشر ، ظاهرة
وشاهدها بعض الرحالة ، ومنهم أحد قواد الحملة
الفرنسية . ولكنه فى عشرينات القرن الحالى ، كانت معالم
هذه الأطلال قد اختفت تماما ، عندما زار هذه المنطقة المؤرخ
هوايت .

اما الأمير عمر طوسون فقد عين سنة ١٩٣٥م هذه
الأطلال ، ووضع نصبا من الخرسانة المسلحة عليها ، ولافتة
باسم (انبا موسى) ، ما لبثت أن سرقت ، فوق التل الرملى
الموجود حاليا فى شمالى شرقى دير سيدة براموس الحالى،
على مسافة نحو خمسين مترا ، وقدر مساحة هذه الأطلال
بنحو فدان وتسعة عشر قيراطا وعشرة أسهم أى حوالى
٧٦٠٠م٢ .

وجدير بالذكر أن القديسين مكسيموس ودوماديوس
كان لهما فيما يبدو خلاف المغارة التى تبعد نحو أربعة كيلو
مترات من الدير الحالى ، فى الصخرة (قارة الملوك) ، قلاية
اخرى قريبة من الدير كما يروى التقليد ، والتى دفنا فيها
بعد نياحتهما ، وبنيت عليها الكنيسة الصغير باسمهما .
وبعد خراب هذه الكنيسة ، أخذ الرهبان ، كما يقول التقليد،
رفات جسديهما ، ووضعوها تحت المذبح الأوسط للكنيسة
السيدة العذراء الأثرية القائمة بالدير الحالى .

٥ ـ ابللو وابيب

اما القديسان انبا ابللو وانبا ابيب ، واللذان يحمل
اسميهما المذبح البحرى (الشمالى) الجديد بكنيسة
ماريوحنا المعمدان . فهذان كانا راهبين من القرن الرابع ،
ويعتبران نموذجا للأخوة والصداقة الروحية . ويذكر
التقليد أن رفاتهما نقلت فى فترة من الفترات الى وادى
النطرون ، وقيل انهما مدفونان حاليا فى منطقة براموس .
وفى الواقع ليس لدينا تفاصيل سيرتهما . ونظرا لحياتهما
التى شابهت الملائكة ، رسمهما الفنان القبطى على شكل
راهبين بجناحين مثل الملائكة .

+ + +

والآن عزيزى القارىء ، نرجو ان تكون قد استمتعت
بهذه الرحلة ، وقضيت يوما مباركا فى رحاب القديسين ..
صلواتهم وبركاتهم تكون مع روحك . آمين .

+ + +

مديحة للأنبا موسى

١) في كنيسة الأبكار — في مجمع الأطهار
قائم بكل وقار — بي جورى آفا موسى

٢) كان أصله عابد أوثان — قاطع طريق لزمان
وسأل عن الديان — . . . .

٣) كان موسى من البربر — حياته مليئة بالشر
وطلب أنه يتبرر — . . . .

٤) سارق قاتل زاني — حب العالم الثاني
غسله الدم القاني — . . . .

٥) سمع موسى العطشان — عن الآباء الرهبان
بشهيت كانوا سكان — . . . .

٦) وسأل هل فيه إله — له العظمة والجاه
قلبي مشتاق لسماه — . . . .

٧) إجابة آفا ايسيذورس — إلهنا قوي قدوس
تنحني له الرؤوس — . . . .

٨) إلهنا رؤوف حنان — أخذ شكل الإنسان
من محبته رضي الهوان — . . . .

٩) إلهنا وعده أمين — يقبل كل التائبين
ويحب المستحقين — . . . .

١٠) سلم نفسك إليه — واترك ماضيك عليه
بالنعمة تتوب في إيديه — . . . .

١١) وقف موسى وقال — اقبلني كابن ضال
توبني أتوب في الحال — . . . .

١٢) بدموع وابتهالات — بتنهد وبزفرات
وندم على كل ما فات — . . . .

١٣) اتقدم للمسيح — بفؤاد محزون وجريح
وأراد أن يستريح — . . . .

١٤) قدم توبة ورعة — علنا وبلا رجعة
تفاصيلها متسعة — . . . .

١٥) وإذا بملاك موجود — يمسح خطاياه السود
بيض لوحة الشهود — . . . .

١٦) أنبا مكاريوس رآه — وربه سامحه ونجاه
وانكتبت له الحياة — . . . .

١٧) نال أول الأسرار — بالماء والروح والنار
وأزال كل الأوزار — . . . .

١٨) دي التوبة أثرها عجيب — تشعل في القلب لهيب
والشارد يبقى قريب — . . . .

١٩) القاتل أصبح بار — والخاطىء اناء مختار
والسارق من الأخيار — . . . .

٢٠) والتوبة لها مفعول تجعل الزانى بتول
والمتمرد مقبول . . . .

٢١) عبد الشهوات والعار النعمة عطت له الفخار
وصبح أقوى الأحرار . . . .

٢٢) والروح قاد الجبار م الظلمة للأنوار
ووهب لحبيبه ثمار . . . .

٢٣) اشتاق لحياة الدير وعزم يسلك فى الخير
فرسم له خط السير . . . .

٢٤) فى نسكه فات الأقران كان يخدم الرهبان
يتواضع السهران . . . .

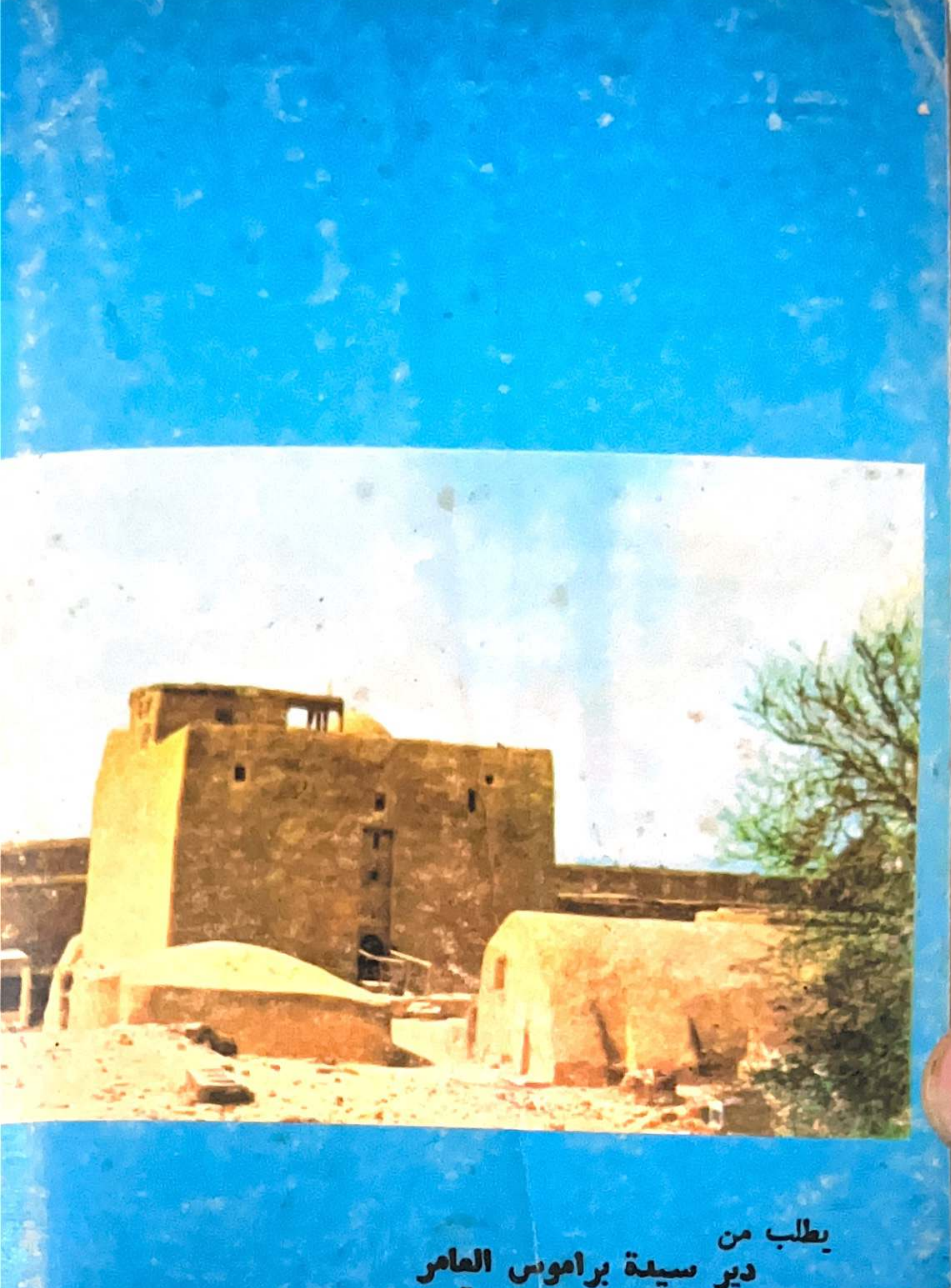
٢٥) يتعب نفسه باصرار يمشى آلاف الأمتار
يملالهم الجرار . . . .

٢٦) سار يقطع الطريق فى ثبات مع تدقيق
وتقدم فيما يليق . . . .

٢٧) فى فضائل فى صلوات فى صوم فى نسكيات
بتخشع ومطانيات . . . .

٢٨) عابد زاهد وأمين وايمانه اساسه متين
يرعب الشياطين . . . .

٢٩) حب الأخوة وحبوه للكهنوت انتخبوه
رفعوا الرغبة وطلبوه . . . .


يطلب من
دير سيدة براموس العامر
سائر المكتبات المسيحية